تكريم الإنسان
فى القرآن الكريم

إعـــداد
د/ نزهة عبدالرحمن زايد
المدرس فى قسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالإسكندرية – جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً يوافى ما تزايد من نعم ، والشكر له على ما أولانا من الفضل والكرم ، لا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، له على خلقه وجنه وإنسه النعمة السابغة ، والحجة البالغة ، نسأله العفو والعافية فى الحياة ، والأمن والمغفرة والنجاة ، والنظر إلى وجهه يوم نلقاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين وأصحابه الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .....

فقد تكررت قصة آدم فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم ، وفى كل موضع من هذه المواضع استفاض الحديث عنها ، الأمر الذى يجعل التفكير يتزايد حول حياة الإنسان ، والأمور التى يتميز بها عمن حوله من الكائنات ، وتسخيرها كلها من أجله .

إن الله تعالى هو الصانع والخالق وهو الذى أوجد الكون على هذا النظام البديع ، ولا يمكن أن يستمر الكون على حاله بدون إرادة الله تعالى فله الحكمة فى صنعه وخلقه وأفعاله جميعها قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1] .

وبالتأمل فى مواضع القصة وجدت أن الله تعالى شاءت إرادته أن يجعل الإنسان خليفة فى هذه الأرض ليعمرها ، ولذلك فإنه قد امتن عليه بوجوه المكرمات والفضائل والمميزات والخصائص دون بقية الكائنات ، فتعرضت لها فى هذا البحث مستعينة بما ورد فى كتاب الله تعالى، وبما ورد عن رسول اللهﷺ .

(١) سورة الدخان الآيتين ٣٨ ، ٣٩ .

فاشتمل البحث على ما يلى :-

التمهيد ثم الآيات التى ذكرت قصة آدم .

ثم كيف كرم الله الإنسان .

ثم سيادة الإنسان فى الأرض .

مظاهر تكريم الله للإنسان وهى :-

أولاً :- الإحياء .

ثانياً :- خلق الأرض والسماء وتكريم الإنسان بالانتفاع بما فيهن .

ثالثاً :- خلق آدم عليه السلام وتعظيم الله إياه .

رابعاً :- نفخ الروح .

خامساً :- استخلاف الإنسان فى الأرض .

سادساً :- اختصاص الإنسان بالعلم .

سابعاً :- دعوة الملائكة إلى السجود لآدم .

ثامناً :- سنن الفطرة التى أودعها الله فى الإنسان .

ثم الخاتمة وهى بيان لما سبق عرضه مع إيجاز لبعض النتائج التى انتهى إليها البحث .

هذا وقد بذلت جهدى فى تحرى الصواب ، وحاولت ما استطعت أن يكون سهلاً فى عباراته ، منظماً فى أفكاره وكلماته حسب ورودها فى الآيات القرآنية، فإن يكن خيراً وتوفيقاً فالفضل لله تعالى الذى صنع كل شئ وخلق الإنسان وكرمه ، وإن يكن خطأ وتقصيراً فمن نفسى ومن الشيطان ، وأسأل الله تعالى أن يهدينا إلى ما يحبه ويرضاه ، وأن يغفر لنا ذنوبنا يوم نلقاه .

التمهيد

إن الإنسان فى هذا العصر أصبح عالماً مفكراً ، دؤباً مريداً ، معتزاً بعقله وإنجازاته ، وما هذه جميعها إلا معطيات مادية من الله تعالى ، فهو سبحانه الذى هيأها للإنسان واختصه بها دون خلقه ، وفى ذلك يقول ابن القيم رحمه الله :- « فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه ، وخلقه لنفسه ، وخلق كل شئ له ، وخصه من معرفته ومحبته ، وقربه بما لم يعط أحداً غيره ، وسخر له ما فى سماواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته استخدمهم له ، وجعلهم حفظة له فى منامه ويقظته وظعنه وإقامته ، وأنزل عليه وإليه كتبه ، وأرسل إليه رسله وخاطبه وكلمه ، واتخذ منهم الخليل والكليم ، والأولياء والخواص والأحبار ، وجعلهم مواطن أسراره ، ومحل حكمته وموضع حبه ، وخلق لهم الجنة والنار ، فالخلق والأمر والثواب والعقاب مداره على النوع الإنسانى ، فإنه خلاصة الخلق ، وهو المقصود بالأمر والنهى وعليه الثواب والعقاب » .[1]

ولقد جعله عز شأنه قادراً مختاراً مريداً ، وكرمه سبحانه وتعالى ، حيث يقول هز من قائل : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[2] .

فكرمه تعالى بالتكليف الذى لا يختص به أى عاقل عالم عامل ، ومن ثم فقد ألزمه عز شأنه بالتوحيد ، وفرض عليه الإقرار به ، وجعله غاية يسعى إليها ، فإن ألزم نفسه به عن حب وإيمان وطواعية – صار جديراً بخلافة خالقه فى الأرض ، وإن جنخ عنه ارتد إلى أسفل سافلين ، قال تعالى : ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**

(١) ابن القيم : مدارك السالكين ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ج١ ص٢٣٢ ، دار الحديث .
(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾(١) .

فالمؤمن من نوع الإنسان خير البرية على الإطلاق وخيرة الله من العالمين ، فإنه خلقه ليتم نعمته عليه ، وليتواتر إحسانه إليه ، وليخصه من كرمته وفضله بما لم تنله أمنيته ، ولم يخطر على باله ولم يشعر به ليسأله عن المواهب والعطايا الباطنة والظاهرة ، العاجلة والآجلة التى لا تنال إلا بمحبته ، ولا تنال محبته إلا بطاعته وإيثاره على ما سواه .

فالإنسان من خلق الله ، وإلى الله يسعى ، وإليه جل شأنه يصير ، وما مواهبه وعطاياه الدنيوية إلا من لدن عزيز حميد ، فإن وفاها حقها فإنما حقق الغاية من خلقه ، عبادته لله وعمارة لكونه ، وبها يكون له على الله حق أن يدخله الجنة .

❁❁❁

(١) سورة التين الآيات من ١ – ٨ .

الآيات التى ذكرت قصة آدم

جاءت قصة آدم فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع :-

١- فى سورة البقرة آية (٣٠ : ٣٩) :-

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

٢- فى سورة الأعراف آية (١١ : ٢٧) :-

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا

تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

٣- في سورة الحجر آية (٢٦ : ٤٣) :-

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

٤- في سورة الإسراء آية (٦١ : ٦٥) :-

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ

ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

٥ـ في سورة الكهف آية (٥٠ : ٥١) :ـ

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ .

٦ـ في سورة طه آية (١١٥ : ١٢٣) :ـ

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

٧ـ في سورة ص آية (٦٧ : ٨٥) :ـ

قال تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ

أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥ ﴾ .

❁❁❁

كيف كرم الله الإنسان ؟

من الحقائق التى بينها الله تعالى للعالم كله أن الإنسان سيد هذه الأرض ومن أجله خلق كل شئ فيها ، فهو إذن أعز وأكرم وأغلى من كل شئ مادى ومن كل قيمة مادية فى هذه الأرض جميعها ، فهذه الماديات كلها مخلوفة أو مصنوعة من أجله ، من أجل تحقيق إنسانيته ، من أجل تقرير وجوده الإنسانى ، ودور الإنسان فى الأرض هو الدور الأول ، فهو الذى يغير ويبدل فى أشكالها وفى ارتباطاتها ، وهو الذى يقود اتجاهاتها ورحلاتها ، وليست وسائل الإنتاج ولا توزيع الإنتاج هما اللتان تقودان الإنسان ، وتصغر بقدر ما تعظم من دور الآلة وتكبر .

إن الله خلق الخلق قبل أن يخلق الإنسان ، ولأن لا كمال لهذا الكون بدونه، فقد خلقه الله ليكون خليفة له سبحانه فيه ، وعلمه ﷻ أسماء مخلوقاته وجعله سيداً عليها ، ومن ثم فإنه لا يتفضل عما يحيط به من سائر المخلوقات ، فقد خلقه الله ليكون الوصل بين سائر المخلوقات ، دون أن نجرده من أثر الإيمان ، ومن قوى الخير والأخلاق فيه ، وتزكية النفس والمثل العليا المتأصلة فى فطرته ، فالإنسان هو خليفة الله فى الأرض .

فالله تعالى خالق كل شئ ومنه الإنسان وما اكتسب من علم وعمل وغير ذلك ، مما يحرز به تفوقه على سائر المخلوقات .

قال تعالى : ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ .[1]

وقد جعل الله تعالى للإنسان صفات تميزه على سائر المخلوقات وتلك الصفات هى التى جعلته حقيقياً بخلافة الله فى الأرض وقد أعد إعداداً إلهياً لحمل هذه الأمانة .

(١) سورة طه الآية ٥٠ .

وقد يشارك الإنسان الحيوانات فى بعض القوى والملكات والأفعال ، ولكن هناك أفعالاً وقوى وملكات إنسانية خالصة يختص بها من حيث هو إنسان، وبها تتم إنسانيته وفضائله ، فهى الأمور الإرادية التى بها يتعلق قوة الفكر والتمييز .

فالإنسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص به ، لا يشاركه فيه غيره ، وهو ما صدر عن قوته المميزة ، فكل من كان تميزه أصح واختياره أفضل ، كان أكمل فى إنسانيته . (١)

ومن ثم فإن أفضل الناس من كان أقدر على أفعاله الخاصة وأشد تمسكاً بشرائط جوهره ، الذى تميز به عن الموجودات ، وأيضاً فإن كل مخلوق يساوى نظيره من جنسه فى سائر المخلوقات ، إلا فى بنى الإنسانى فهناك رجل بألف رجل ، كما أن هناك رجلاً بألف ألف رجل ، كما أن هناك امرأة تفضل كثيراً من الرجال ، فضلاً عن كثير من النساء بنات جنسها ، بالتمييز الصحيح ، والاختيار الأفضل ، والإرادة القوية عن سلمان ﷺ قال : قال النبى ﷺ : « **ليس شئ خيراً من ألف مثله إلا الإنسان** »(٢) .

وقد قال الراغب الأصفهانى :- (الإنسان مركب من جسم مدرك بالبصر ونفس مدركة بالبصيرة) (٣) وإليهما أشار تعالى بقوله : ﴿ **... إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ . (٤)

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف / لأحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكوية – تحقيق ابن الخطيب ص٢٠ – المكتبة المصرية ١٣٩٨ .
(٢) الأمثال فى الحديث النبوى ص١٧٣ – حديث رقم ١٣٧ – تحقيق د . عبد العلى عبدالحميد– الدار السلفية بالهند – ط٢ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة / للراغب الأصفهانى ص٧٥ – نشر الصحوة والوفاء .
(٤) سورة الحجر الآيتين ٢٨ ، ٢٩ .

ونفخ الروح هو الذى شرف به الإنسان على سائر خلق الله ، وشرف الإنسان من إضافته تعالى الروح تشريفاً للإنسان ، وتفضيلاً على سائر خلقه ، كما أضاف عبده تشريفاً له صلى الله عليه وصلم فى آية الإسراء فى قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى- الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ... ﴾ . (١)

وبقدر ما تسمو روح الإنسان ، يشرف صاحبها ، ويتفوق على بنى جنسه، والدليل على ذلك أن القرآن الكريم أشار إلى الإنسان باعتباره نفساً كله، بروحه وبدنه قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهّ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اَللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهّ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ . (٢)

قال تعالى : ﴿ ... قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... ﴾ . (٣)

قال تعالى : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ . (٤)

وقال تعالى أيضاً : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...﴾. (٥)

فهى التى بحصولها أى الروح فى الجنس تحصل الحياة والحركة والحس والعلم والرأى والتمييز ويكون الجسم متصرفاً بها ، ويفقدها عدم هذه الأشياء ،

(١) سورة الإسراء من الآية ١ .
(٢) سورة الأنعام الآية ٩٣ .
(٣) سورة التحريم من الآية ٦ .
(٤) سورة الذاريات الآية ٢١ .
(٥) سورة فصلت من الآية ٥٣ .

فيصير جيفة يحتاج إلى عدة تحمله ، وهى محل الأعراض الروحانية ، مثل الجسم فى كونه محلاً للأعراض الجسمانية . (١)

وقد ركب فى البدن من قوى الحس والتخيل والتفكر ما به يسعد الإنسان أو يشقى ، وبقدر كمال هذه الصفات يتفوق الإنسان على سائر المخلوقات ، وبقدر كمالها أو نقصها يتميز الإنسان عن غيره من بنى جنسه .

والإنسان بالقوى التى ركبت فيه قادر بإرادته أن يسمو بإنسانيته أو يسفل إلى أسفل سافلين ، وقد منحه الله تعالى أدوات الإدراكات جميعاً من أدناها كالإدراكات الحسية التى يستعين بها لإدراك ما يصلح البدن ، وبها يتغذى وينسل ، وأرفعها كالعقل والفكر والتخيل والسمع والبصر ، والقلب الذى جعله الله قوام الجسم كله .

وهذه الإدراكات كلها ، وإن تفاوتت فى الأهمية فلا غنى لأحدها عن الآخر والقلب معقلها جميعاً فى احتواء القوة المفكرة التى تساعد الإنسان على تبين الهداية إلى سواء السبيل ، فى تحصيل الغذاء الذى يصلح الجسم ، ويساعد على بقاء النفس ودوام النسل ، وكذلك الحصول على قدرات : الفهم والتخيل والتفكير ، ولهذا عبر القرآن عن العقل أنه هو المدرك لماهية الأشياء ونفعها ، كما عبر بالقلب الذى هو أشمل فهو يحتوى على القوى المؤثرة فى إدراكات العقل والبدن جميعاً .

قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ . (٢)

وقد عبر عن العقل بالقلب لأنه موضعه . (٣)

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٧٥ للراغب الأصفهانى .

(٢) سورة ق آية ٣٧ .

(٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٧ / لمحمد على الاصبولى – دار القرآن – بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م .

كما قال تعالى : ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ . (١)

فإنه لو تعطل القلب لتعطلت كل القوى المدركة فى الإنسان .

لقد منح الله ﷻ هذه القوى المدركة ننفسها للحيوان ، ولكن ليسخرها فقط فى الادراكات الحسية كالقلب لتوزيع الدم على الجسم ، لا للفهم ، والأذنين للسمع فقط ، والعينين للبصر فيرى الأشياء ، وغير ذلك ، وهذه القوى ذاتها فى الإنسان لها إدراكات تباين نظائرها عند الحيوان ، فمن استعملها فى مواضعها الصحيحة ، حُمد على ذلك ، ومن قصرت عن ذلك همته ولم تعنه فأهملها كان مذموماً من الله والناس قال تعالى : ﴿ ... وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ .. ﴾ . (٢)

وقال تعالى فى ذم من لا ينتفع بها : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ . (٣)

فأهمية قوى الإدراكات هذه فى الإنسان غيرها عند الحيوان ، لهذا قال تعالى : ﴿ ... صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ .(٤)

وبذلك تكون أرفع الإدراكات التى سما بها الإنسان على الحيوان هى العقل فبقدر عقل الإنسان عبادته لربه قال تعالى لسان الفجار : ﴿... لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ . (٥)

(١) سورة الحج من الآية ٤٦ .
(٢) سورة النحل من الآية ٧٨ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٧٩ .
(٤) سورة البقرة من الآية ١٧١ .
(٥) سورة الملك آية ١٠ .

فلو تساوى الناس فى الخلق فإنهم يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح والقوة ، وصدق العزيمة ، وقد قال الله تعالى فى الذين لا يعقلون : ﴿... إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ . (١)

وقال عز من قائل : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللهّ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾(٢)، والذين لا يعقلون هم شر الدواب قال تعالَى:﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهّ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ . (٤)

فبدون العقل يصير الإنسان كسائر الدواب ، وبالعقل صار الإنسان خليفة الله وبما غرسه الله تعالى فى الإنسان اهتدى من وفقه الله إلى تزكية نفسه المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ . (٥)

وحصل به حرث الآخرة المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ...﴾ . (٦)

فالإنسان لكى يهتدى إلى الحق يحتاج إلى العقل ، وبالعقل تعرف صحة دعوة الرسل عليهم السلام .

وبهذا نجد أن الله تعالى قد كرم الإنسان وشرفه منذ خلقه بأن جعل له هذه الميزة التى تميزه عن غيره من الكائنات ، ومن هذه الميزة التى جعله يعرف بها كيف يقيم العبادات الخالصة لله تعالى ويقيم عمله على أكمل وجه يبتغى بها

(١) سورة الفرقان من الآية ٤٤ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٢ .
(٣) سورة الأنفال آية ٥٥ .
(٤) سورة البقرة آية ١٧١ .
(٥) سورة الشمس الآيات ٩ ، ١٠ .
(٦) سورة الشورى من الآية ٢٠ .

الصلاح فى الدنيا والآخرة فهو فى كل الأحوال يحافظ على دنياه وآخرته ويوازن بينهما قال تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ... ﴾ .(١)

وقال تعالى : ﴿ ...وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ...﴾(٢) ، وهو بهذه الأعمال إنما يواجه بها خالقه فقط لقوله تعالى : ﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ...﴾ .(٣)

ويحاسب الله تعالى الجميع على هذه الأعمال قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .(٤)

قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .(٥)

فالرسول بشر يوحى إليه ، ورسول مثل كل رسول أرسله الله تعالى حيث قال عز من قائل : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ

(١) سورة القصص من الآية ٧٧ .
(٢) سورة القصص من الآية ٧٧ .
(٣) سورة الحديد من الآية ٤ .
(٤) سورة آل عمران الآيايت ٢٩ : ٣٢ .
(٥) سورة الأنعام الآية ٥٠ .

أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ . (١)

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . (٢)

وقال أيضاً : ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ . (٣)

فكل نفس مسئولة ملتزمة عن أفعالها أمام خالقها ، فتقودها أعمالها إما إلى الجنة وإما إلى النار .

❁❁❁

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٥ .

سيادة الإنسان فى الأرض

قال تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ... ﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾ . (٣)

عندما يعى الإنسان حقيقة المعانى فى هذه الآيات ، سيصل إلى حقيقة كيف بدأ الخلق وكيف ارتقى بمشيئة الله وإذنه وقدرته .

وقد بحث علماء المسلمين نظرية التطور والارتقاء لخلق الإنسان وبينوا أن الأثر الإلهى هو الفاعل لأن كل حركة تحدث فى العالم الحادث إنما تكون بقدرة الله تعالى ، ولعل هذا التصور للتطور خاضع لما يعتقده المسلمون فى أن الله وحده كان ولم يكن شئ معه ، ثم أحدث العالم ، وكل ما حوى بطن الفلك يتحرك بقدرته تعالى .

إن التطور والارتقاء لم يكن عبثاً ، أو بلا غاية ، وإنما هو ارتقاء الخلق، ومن أجل خلق الإنسان ، فهو مقصود الخالق لخلافته فى الأرض فالتطور الذى حدث لكل المخلوقات ، كانت غايته إيجاد مخلوق أسمى من كل المخلوقات ، ذلك هو الإنسان .

فالمقصود من العالم وإيجاده شيئاً بعد شئ هو أن يوجد الإنسان فالغرض من الأركان أن يحصل منها النبات ، ومن النبات أن يحصل الحيوانات ومن الحيوانات أن يحصل الأجسام البشرية ، ومن الأجسام البشرية أن يحصل منها

(١) سورة العنكبوت من الآية ٢٠ .
(٢) سورة الحج من الآية ٤٦ .
(٣) سورة الأنبياء من الآية ٣٠ .

الأرواح الناطقة ، ومن الأرواح الناطقة أن يحصل منها خلافة الله تعالى فى أرضه ، فيتوصل بإيفاء حقها إلى النعيم الأبدى لقوله تعالى : ﴿...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[1] وجعل تعالى الإنسان سلالة العالم وهو المخصوص بالكرامة[2] لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[3] .

فكأن الراغب قال : إن تطوير المخلوقات وتحسينها ، إنما من أجل إعداد الكون لكى يسكنه المخلوق الأسمى ، صاحب المقام الأكبر من بين جميع المخلوقات ذلك هو الإنسان ، فهو يبين أن ارتقاء المخلوقات ليست إلا وسيلة وأطواراً يمر بها الخلق للوصل إلى حتمية خلق المخلوق صاحب المقام الأعلى بين المخلوقات الجدير بالخلافة والتكريم .

مما تقدم تتضح لنا الحقيقة التى بينها الله تعالى للعالم بأسره أن الإنسان سيد هذه الأرض ومن أجله خلق كل شئ منها ، فهو إذن أعز وأكرم وأغلى من كل شئ مادى ومن كل قيمة مادية فى هذه الأرض ، فهذه الماديات كلها مخلوقة أو مصنوعة من أجله ، من أجل تحقيق إنسانيته من أجل تقرير وجوده الإنسانى .

ومن الأصح أن نعتبرها فى الأصل مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان .

فنبينها ونوضحها وإن كان هناك كثير إلا إننا نأخذ الأهم منها والأوضح .

۞۞۞

(١) سورة البقرة من الآية ٣٠ .

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهانى ص٢٤ ، ٢٥ سلسلة الثقافة الإسلامية رقم ٢٨ إبريل ١٩٦١م .

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

مظاهر تكريم الله تعالي للإنسان

من النعم التى أنعم الله تعالي على الإنسان وكرمه بها :-

أولاً :- نعمة التكريم بالإحياء .

ثانياً :- نعمة خلق الأرض والسماء وتكريم الإنسان بالانتفاع بما فيهن .

ثالثاً :- خلق آدم عليه السلام وتعظيم الله إياه .

رابعاً :- نفخ الروح .

خامساً :- استخلاف الإنسان فى الأرض .

سادساً :- اختصاص الإنسان بالعلم .

سابعاً :- دعوة الملائكة إلى السجود لآدم .

ثامناً :- سنن الفطرة التى أودعها الله فى الإنسان .

أولاً :- نعمة التكريم بالإحياء :-

لقد كرم الله تعالى الإنسان فى خلقه ، وأنشأه بعد أن لم يكن ، قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[1] وبث فيه جل شأنه من روحه ليكون أعظم المخلوقات شأناً ، فلينظر الإنسان إلى نعمة الله عليه كيف نقله من الذلة والقلة ، والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة ، فصار موجوداً بعد العدم ، وحياً بعد الموت ، وناطقاً بعد البكم ، وبصيراً بعد العمى ، وقوياً بعد الضعف ، وعالماً بعد الجهل ، ومهدياً بعد الضلال ، وقادراً بعد العجز ، وغنياً بعد الفقر ، فكان فى ذاته لا شئ وأى شئ أخس من لا شئ وأى قلة أقل من العدم ، ثم صار بالله شيئاً .[2]

قال تعالى:﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.[3]

---

(١) سورة الروم الآية ٢٠ .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالى ج٣ ص٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٣) سورة الإنسان الآية ١ .

وقال تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] أى كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره وقد كنتم عندما فأخرجكم إلى الوجود .[2]

قال تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[3] فإن الله تعالى ، يذكرهم بالأصل فى النعم وهو الإحياء وذلك ليزجرهم عن التمسك بالكفر ويبعثهم على اكتساب الإيمان .

ومثلها قوله تعالى : ﴿...رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ...﴾ .[4]

فالمراد بالموت الأول العدم السابق وبالحياة الأولى الخلق ، وبالموت الثانى الموت المعهود وبالحياة الثانية الحياة للبعث[5] ، فهما ميتتان وحياتان كما قال ابن عباس : « كنتم أمواتاً فأحياكم ، أمواتاً فى أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم ثم يميتكم موته الحق ثم يحييكم حين يبعثكم » .[6]

وقد قال تعالى فى الأصنام : ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[7] وقال سبحانه : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[8] .

(١) سورة البقرة الآية ٢٨ .
(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٨٦ .
(٣) سورة الطور الآيتين ٣٥ ، ٣٦ .
(٤) سورة غافر من الآية ١١ .
(٥) الفتوحات الإلهية ج١ ص٣٥ .
(٦) تفسير ابن كثير ج١ ص٨٦ .
(٧) سورة النحل الآية ٢١ .
(٨) سورة يس الآية ٣٣ .

إن الله تعالى أراد بهذه النعمة أن يخلق الحياة على وجه الأرض فيبين إرادته الإلهية ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .(١)

وهو تعالى وحده القادر على خلق هذه الحياة وبدايتها ، قال تعالى : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ...﴾(٢) .

ولم يعلم أحد يقيناً متى بدأت هذه الحياة ولا كيف تتم فكل شئ راجع إلى مشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته لا دخل لأحد ولا يعرف أحد هذه الأشياء ، وإن كان هناك فروض واحتمالات لها ، ولكنها لا تصل إلى الحقيقة .

وهذه الحياة تمتد فى الزمان فتشمل الفترة المشهودة – الحياة الدنيا – وفترة الحياة الآخرة التى لا يعلم مداها إلا الله ، وهذا الذى لابد للمسلم أن يتصوره أما غير المسلم فهو الذى أخبر الله عنه بقوله : ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ .(٣)

وقال تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ .(٤)

وقد جعل الله تعالى هذه النعمة للإنسان وهى الإحياء له بعد كونه عدماً وجعل له الحياة على وجه الأرض بلاءاً واختباراً حتى لا يضع لحياته غاية يطمح إليها يبصره ويسعى وراء تحقيقها إلا أن يكون من الفائزين فى الدار الآخرة عند ربه ، وهو يعتبر فضل من الله وعدل منه وتربية للناس ، إن الدنيا التى خلقها الله للإنسان دار عمل وابتلاء والآخرة دار حساب وجزاء ، وهذه هى سنة الله تعالى فى خلقه ، قال تعالى : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

(١) سورة يس الآية ٨٢ .
(٢) سورة الروم من الآية ١٩ .
(٣) سورة الأنعام الآية ٢٩ .
(٤) سورة الأنعام الآية ٣٢ .

يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿ ...وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً...﴾ . (٤)

قال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ...﴾ . (٥)

قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ . (٦)

۞۞۞

(١) سورة العنكبوت الآيتين ٢ : ٣ .
(٢) سورة الملك من الآية ٢ .
(٣) سورة محمد الآية ٣١ .
(٤) سورة الأنبياء من الآية ٣٥ .
(٥) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .
(٦) سورة الكهف الآية ٧ .

ارتباط الحياة فى الدنيا مع الحياة فى الآخرة

هل وهب الله الإنسان الحياة فى الدنيا وأنعم عليه بها وجعلها مستقلة عن الحياة فى الآخرة ؟

إن طبيعة الحياة الإنسانية فى الإسلام ارتباط كل من الحياتين ، والطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا والعمل فى الدنيا هو الذى يؤدى إلى نيل ثواب الآخرة ، إن التقوى والإيمان والعمل الصالح هى أسباب عمران الأرض ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا قامت الحياة على المنهج الذى رضيه الله تعالى للناس .

إن وظيفة الإنسان كما رسمها الله تعالى له هى الخلافة فى الأرض والعمل الجاد والإتقان فيه هو تأكيد لهذه الخلافة وهذه هى الطاعة لله تعالى ، ومن يتكاسل عن هذا العمل فإنه يكون خاسراً للدنيا وبالتالى خاسراً للآخرة ، وبذلك نجد أن المنهج الإسلامى يجمع بين الأثنين .

قال الله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ...﴾ .(١)

قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم...﴾ .(٢)

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ .(٣)

---

(١) سورة القصص الآية ٧٧ .
(٢) سورة المائدة الآيتين ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

وقال عز من قائل : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ . (١)

وقال سبحانه : ﴿...رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً...﴾ . (٢)

وقال رسول الله ﷺ : « **إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها** » .

وقال أيضاً : « **إنى لأصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى** » . (٣)

وقال ﷺ : « **وإن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً وإن لربك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حق حقه** » . (٤)

ومن ثم فإنه لا ينبغى للإنسان المؤمن أن يغفل عن الآخرة ويعيش للدنيا وحدها ، فإن الله تعالى قد حذرنا من الغفلة عن الآخرة فى قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ...﴾ . (٥)

وقال أيضاً : ﴿وَعْدَ اللّهِ لَا يُخْلِفُ اللّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ . (٦)

وقال سبحانه : ﴿...بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ . (٧)

---

(١) سورة نوح الآيتين ١١ : ١٢ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٠١ .
(٣) صحيح البخارى – كتاب النكاح – باب الترغيب فى النكاح ٥٠٦٣ ج٣ .
(٤) صحيح البخارى – كتاب النكاح – باب صنع الطعام والتكليف للضيف ج٤ ، ٦١٣٩ .
(٥) سورة يونس الآيتين ٦٣ ، ٦٤ .
(٦) سورة الروم الآيتين ٦ ، ٧ .
(٧) سورة سبأ من الآية ٨ .

وقد امتاز الإسلام بأنه قد راعى الفطرة البشرية وقبل واقعها وحاول تهذيبها إذ أن هذه الحياة التى وهبها الله للإنسان على الأرض إنما هى متاع له فالإنسان بطبيعته يميل إلى شهوات الدنيا وهذا المتاع ما هو إلا متاع موقوت محدود ألا يأخذ كل همه .

قال تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ . (١)

قال تعالى : ﴿... وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ . (٢)

وقال سبحانه : ﴿... فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ . (٤)

ولكن هل معنى ذلك أن يبتعد بعداً تاماً عن هذا المتاع فى الدنيا ويتركه ؟

لا إن الإنسان ينبغى له أن يكد ويتعب فى الدنيا ولكن لا يجعل نفسه عبداً لها ، ويستمتع بطيباتها ويعمل لتسخير قواها وطاقاتها ويعلم أن هذا واجب الخلافة فى الأرض عن الله تعالى ، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهّ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ﴾ . (٥)

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤ .
(٢) سورة آل عمران من الآية ١٨٥ .
(٣) سورة التوبة من الآية ٣٨ .
(٤) سورة القصص من الآية ٦١ .
(٥) سورة الأعراف من الآية ٣٢ .

ينبغى أن يكون التمتع فى اعتدال بعدم إسراف من المؤمن قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ . (١)

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ . (٢)

قد يتأثر بعض الناس بما فى الحياة الدنيا من مال وجاه وحسب ونسب ولكن الإسلام يبين أن الله تعالى لم يجعل هذه الأشياء سبباً للتفاضل فقال تعالى: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ . (٣)

وقال أيضاً:﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ۞وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾.(٤)

إن الله تعالى قد بين أن الغاية الأسمى لهذه الحياة فى الدنيا هداية البشر إلى الحق وإرشاد الناس جميعاً إلى الخير وما ذلك إلا أنها العبادة الخالصة لله تعالى التى ينال بها الإنسان ثواب الآخرة .

قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ . (٥)

وقال تعالى : ﴿... رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ . (٦)

فينبغى على المسلم أن يفكر فى قيمة الوقت لأن الله سائله يوم القيامة عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه ، فعليه أن يحرص على الوقت لا يضيعه

(١) سورة الأعراف الآية ٣١ .
(٢) سورة الأعراف من الآية ٣٣ .
(٣) سورة الحجرات من الآية ١٣ .
(٤) سورة سبأ الآيتين ٣٥ ، ٣٦ .
(٥) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
(٦) سورة طه من الآية ٥٠ .

فى عبث أو لهو ، فالوقت شاهد على عمل الإنسان ، وإذا ضاع فلن يعود ، وفى الحديث : « **ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة** » .

فإذا كان المسلم مسئول عن الوقت يوم القيامة وعن عمله فيه فإنه لم ينساه على الإطلاق ، فهو يستغل وقته وحياته فى الخير والعمل الصالح .

لقد ميز الله تعالى الإنسان بالعقل والإرادة والاختيار فجعله أهلاً لتحمل التكاليف ومن هنا نشأت مسئولية الإنسان عن كل ما يقدمه فى هذه الحياة من أعمال وهذه المسئولية فردية لا يسأل فيها الإنسان إلا عما ارتكبه هو ولا يؤاخذ بكسب غيره ، ولا يتخلص هو من كسب نفسه ، فالله لا يحاسب الناس جملة إنما يحاسبهم فرداً فرداً كلاً على عمله ، قال تعالى : ﴿... **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ...﴾ . (١)

وقال سبحانه : ﴿**بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ** ...﴾ . (٢)

وقال عز من قال : ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ . (٣)

وقد روى أن رسول الله ﷺ بعد أن نادى أقاربه وأهل بيته قال : « أسألونى من مالى ما شئتم لا أغنى عنكم من الله شيئاً » . (٤)

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٦٤ ، سورة فاطر من الآية ١٨ .
(٢) سورة من البقرة الآية ٨١ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٤ .
(٤) سنن الترمذى – ك الزهد – باب ما جاء فى إنذار النبى قومه – ٢٣١٠ ج٣ ص٢٨٨ ، وقال الترمذى حديث حسن غريب .

إن هذه الحياة التى أنعم الله تعالى بها على الناس جميعاً لم يتركها سدى بل إنه تعالى قد سنن سنته فى توزيع الأرزاق ليرى من سيكفر ويجحدها ومن سيفرح بها ويشكرها .

فهناك تفاوت فى التوزيع وذلك هو قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ . (٢)

وقال أيضاً : ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ ...﴾ . (٣)

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ...﴾. (٤)

إن الله تعالى عندما وهب الإنسان وأنعم عليه بهذه النعمة وهى الحياة فى الأرض أستودعه مفاتيح الرزق وهذه المفاتيح هى تقوى الله سبحانه ، فتقوى الله لا يقتصر أثرها على سلوك الطريق المستقيم والنجاة من سوء العاقبة بل يمتد ذلك الأثر إلى استفتاح ما عند الله من أرزاق طيبة ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ...﴾ . (٥)

(١) سورة الزخرف الآيتين ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) سورة الفجر الآيتين ١٥ ، ١٦.
(٣) سورة النحل الآية ٧١ .
(٤) سورة سبأ من الآية ٣٩ .
(٥) سورة الأعراف من الآية ٩٦ .

وقال أيضاً : ﴿ ... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . (١)

قال تعالى : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ . (٢)

إن هذه النعمة التى وهبها الله لعباده بنيت ليتمتعوا بها ويشكروا الله عليها ، فيجازيهم فى الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . (٣)

وقال سبحانه : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ . (٤)

وقال سبحانه : ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ . (٥)

وقال رسول الله ﷺ : « **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»(٦)

فينبغى على المسلم أن يعرف طبيعة الحياة التى يعيش فيها ، وأنها مرحلة من المراحل تليها مرحلة أخرى أبقى وأدوم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ . (٧)

---

(١) سورة الطرق الآيتين ٢ ، ٣ .
(٢) سورة نوح الآيتين ١٠ ، ١١ .
(٣) سورة النحل الآية ٧٨ .
(٤) سورة البقرة الآية ١٥٢ .
(٥) سورة النحل الآية ١١٤ .
(٦) صحيح البخارى – كتاب التوحيد – باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى ج٤ – ٧٣٧٣ .
(٧) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .

وأن يعرف أن الله تعالى هو واهب الحياة وهو آخذها وهو فى كلتا الحالتين متفضل منعم على السواء .

إن كثيراً من أسرار الحياة ، وكيفية وجودها وكنهها وتصرفها تعتبر غيباً بالنسبة للإنسان الذى كرمه الله تعالى ووهبه العقل والإدراك ، قال تعالى : ﴿... **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿**...وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ...**﴾ . (٣)

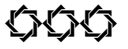

(١) سورة الروم الآيتين ٦ ، ٧ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
(٣) سورة لقمان من الآية ٣٤ .

ثانياً :ـ نعمة خلق الأرض والسماء وتكريم الإنسان بالانتفاع بما فيهن

من النعم التى أنعم الله بها على الإنسان وعمت المكلفين بأسرهم نعمة خلق الأرض والسماء فإن الانتفاع بهما إنما يكون بعد حصول الحياة ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ . (١)

فقوله تعالى (لكم) بعد قوله (خلق) يدل على أنه خلقهما لأجل الانتفاع بهما فى الدين والدنيا ، أما فى الدنيا فليصلح الأبدان وتقوى على الطاعات ، أما فى الدين فللاستدلال بهذه الأشياء والاعتبار بها ، وجمع بقوله (ما فى الأرض جميعاً) جميع المنافع ، فمنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال ومنها ما يتصل بضروب الحرف والأمور التى استنبطها العقلاء وبيت تعالى أن كل ذلك إنما خلقها كى ينتفع بها . (٢)

فهذا يعتبر من تكريم الله تعالى له حيث قال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَّ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ... ﴾ . (٤)

وقال أيضاً : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ . (٥)

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٩ .
(٢) تفسير الرازى ج٢ ص٣٧٩ .
(٣) سورة الجاثية الآية ١٣ .
(٤) سورة لقمان من الآية ٢٠ .
(٥) سورة النحل الآية ١٢ .

وقال تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ . (١)

فهذه أدلة ظاهرة من الكتاب الحكيم تكشف عن تكريم الإنسان بتسخير الكون وأجزائه له ، وذلك من سماء وأرض بما فيها من كواكب ونجوم وأنهار وبحار وليل ونهار وزرع وماء وثمر كل ذلك قد جعله الله مسخراً لهذا الكائن المفضل المتميز .

وقد خيرهن الله لإظهار الرضا فى الطاعة التامة لله تعالى والاستجابة لأمره إذا كلفهن بعمل ما أو سخرهن جميعاً الطاعة والخضوع لله ﷻ يكلفهن بما شاء وسوف يلتزمن بأحكام القضاء تمام الالتزام ، وبهذا قامت جميع المخلوقات فى الأرض والسماوات على محبة الله والرضا بأمره فى العمل مسخرات لخدمة الإنسان فقال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ . (٢)

أى استجبن لأمر الله وتهيأن على الوضع الذى يسمح للإنسان أن يكون مستفيداً منكن مستخلفاً فى الأرض بينكن ، بحيث يتحقق فيكن الوضع الأمثل لكى يكون أميناً فى ملك الله ، مخولاً فيما منحه وأعطاه على وجه الاختبار والابتلاء .

ومعنى قوله تعالى : ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أى استجابت السماوات والأرض وقالتا : أتيا مذللين مسخرين ، تنفيذاً لمراد رب العالمين ، قال ابن جرير الطبرى : « قال الله للسماء والأرض جيئا بما خلقت فيكما ، أما أنت يا سماء فأطلعى ما خلقت

(١) سورة إبراهيم الأيتين ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) سورة فصلت الآية ١١ .

فيك من الشمس والقمر والنجوم ، وأما أنت يا أرض فأخرجى ما خلقت فيه من الأشجار والثمار والنبات وتشققى عن الأنهار ، قالتا : أتينا طائعين ، جئنا بما أحدثت فينا من خلقك مستجيبين لأمرك لا نعصى أمرك » . (١)

ويقول القرطبى : « قالتا أتينا طائعين فيه أيضاً وجهان : أحدهما أنه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا وأجابا فقام مقام قولهما ، وقال أكثر أهل العلم : بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد تعالى .(٢)

وبعد استجابة السماء والأرض لمبدأ التسخير والانصياع ، والعمل الدائم بلا انقطاع ، فضل الله السماء على الأرض ، وجعلها سبعاً شداداً وجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ، وزين السماء الدنيا بالنجوم والكواكب وجعل الشمس سراجاً وهاجاً ، فقال تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ . (٣)

كل ذلك لتهيأ العالم على وضع جديد يظهر حكمة الله ، ويمكن الإنسان فيه من الحياة ، على معنى الأمانة والابتلاء ، فقال تعالى عن تهيئة الأرض والسماء على الوضع النهائى الأمثل الذى سيظل عليه العالم إلى يوم القيامة : ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج٢٤ ص٩٤ .
(٢) تفسير أحكام القرآن للقرطبى ج١٥ ص٣٤٣ ، ٣٤٤ .
(٣) سورة الذاريات الآيات ٢٧ : ٣٣ .

أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ .(١)

وكل مخلوق من المخلوقات اشترك مع جميع الكائنات فى البقاء مسخراً طائعاً لأمر الله وكل ذلك أيضاً ثم بعدل الله تعالى ليجعل من رفض الأمانة أمانة لمن قبلها ، فكيفها ربها وفق سنن معلومات وأجرها على علل ومعلومات، تسير بأسباب محكمات بقبول فعلى الإنسان وتأثيره فيها ، وتعطيه معنى التملك والسلطنة ، والقوة والهيمنة ما دام يأخذ بهذه الأسباب وذلك أن الله تعالى قد عرض الأمانة على جميع المخلوقات فلم يقبلها إلا الإنسان وذلك هو سبب استخلافه فى الأرض حيث قال تعالى : ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ (٢) وبهذا الاستخلاف أصبح متميزاً عن غيره من الكائنات ، كلها مسخرة لمنفعته وتحت تصوره .

ذلك هو التصور الذى يحمله الإسلام للإنسان من تسخير الكون له وليس العكس فإن الإنسان هو سيد المخلوقات فى هذا الوجود وما فيه من خلائق وكائنات ، ليس الإنسان مسخراً للطبيعة وأجزائها وقوانينها ونواميسها الدائرة بانتظام ، ومثل هذا التسخير المعكوس ينطوى على مآلات خطيرة ووخيمة تسوق إلى استبعاد الإنسان ، أو أن يصبح الكون بالنسبة للإنسان سيداً ومعبوداً ، وكلنا نعرف أن المبدأ الأساس الأكبر الذى يقوم عليه الإسلام أن الله وحده هو المعبود وليس أحد سواه ، فلا الشمس ولا القمر ولا الليل ولا النهار ولا البحار ولا المال ولا القوم ولا العشيرة ، ولا الوطن ولا الإنسان نفسه المعبود ، ليس شئ فى الكون

(١) سورة فصلت الآيات ٩ : ١٢ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

معبوداً بل إن كل شئ فى الكون عابد لله يدين له بالتعظيم ويقدر له بالإلهية والوحدانية .

قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ . (١)

وبناءً على ذلك فإن الحقائق المعلومة فى تصور الإسلام أن الإنسان وأجزاء الطبيعة وكل ما فى الكون من مركبات ماضٍ فى توجهه نحو الله ، إن كل كائن ظاهر من بين الكائنات جميعاً وذلك مما له من خصائص كبرى تميزه عن غيره بما فى ذلك الروح والضمير والإرادة والإحساسات الوجدانية والشعورية .

إن البشرية فى هذا الزمان خاصة تعانى الشدائد من ويلات وكوارث وشرور كالقلق والاضطراب وافتقاد الراحة والسعادة ، وما كان ذلك البلاء والمعاناة إلا بعد شرود هذه البشرية عن العبودية لله ثم لحاقها الذليل خلف العبودية للحياة والكائنات بما فيهما من مغريات وفتن .

إن الإنسان هو الكائن المفضل المكرم الذى كتب الله له أن يأخذ مركز الصدارة فى سلم الخليقة والكائنات جميعاً ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ . (٢)

فالقرآن الكريم دائم التنبيه والتذكير لكل إنسان بهذه النعم التى لا تعد ولا تحصى والتى توجب الشكر بغير حد ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا

(١) سورة الإسراء الآية ٤٤ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ .(١)

فنجد الأرض فى هذه الآيات أن الله بعد أن عدد نعمه وفضله على الإنسان ، فهيأ له الأرض ومهدها وأرسى الجبال وثبتها وهداه إلى معاشه بأنواع الأسباب ، ذكر بعدها يوم الفصل والحساب لأن هذه المخلوقات سخرها طوعها كأمانة استخلفه فيها على سبيل الاختبار فى هذه الدار وسوف يسأل عنها بالضرورة .

إن الله تعالى قد سخر الأرض ومن عليها وهيأ السماء بنجومها وكواكبها من أجل الإنسان ومصلحته فقال تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .(٢)

فهذه الأنعام لما كانت مسخرة للإنسان تكريماً له إذ قبل الأمانة ثم بعد ذلك استخلفه الله فى الأرض عليها ، شرع لنا ربنا أن نتذكر خالقها ومالكها ، ونذكره بالعلو عند ركوبها ، والاستواء على ظهرها فقال تعالى : ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۞ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ .(٣)

(١) سورة النبأ الآيات ٦ : ١٧ .
(٢) سورة النحل الآيات ٥ : ٩ .
(٣) سورة الزخرف الآيتين ١٣ ، ١٤ .

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ . (١)

وقال أيضاً : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ۞ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ . (٢)

ثم يذكر الله تعالى الإنسان بالسبب فى وجود المخلوقات على هذا الحال والنظر فى نعمه التى توجب التفكر والتعقل ، والشكر والتذكر ، والرجوع إلى الله بدوام الافتقار بقوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۗ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ . (٣)

(١) سورة المؤمنون الايتين ٢١ ، ٢٢ .
(٢) سورة غافر الآيتين ٧٩ ، ٨١ .
(٣) سورة النحل الآيات ١٠ : ١٨ .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .(١)

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .(٢)

فهذه الآيات توضح أن الله تعالى قد سخر هذه الأشياء فى الأرض للإنسان حتى يكون منها رزقه وكل شئ هو فى حاجة إليه فيجب عليه التفكر والتعقل فى ذلك الأمر ليرى قدرة الله ويعبده حق العبادة حتى يكون مؤهلاً للحساب والجزاء يوم القيامة ، فكل آية يوضح فيها الله مسخر هذه الكائنات للإنسان يختمها بأنها لمن آمنوا بالله فهم يتفكرون أو يعقلون إلى غير ذلك مما يفيده ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .(٣)

(١) سورة البقرة الآيتين ٢١ ، ٢٢ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٦٤ .
(٣) سورة الأنعام الآية ٩٩ .

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ . (١)

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ . (٢)

فالآيات تبين منفعة ما فى الأرض للإنسان بأنه ينزل الماء عليها فيخرج به كل الثمرات التى هى رزق فيتغذى عليها كل من على الأرض حتى الحيوان والنحل فمن كل تكون الفائدة والنفع للإنسان ثم يأمره تعالى بأن يتفكر فى ذلك ويتدبر الأمر من أمرها بأن تكون مسخرة له ولم هذا التسخير ؟

(١) سورة الرعد الآيتين ٣ ، ٤ .
(٢) سورة النحل الآيات ٦٥ : ٦٩ .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ . (١)

لمن يكون الإخضرار ؟ أنه ليستفيد به كل من على الأرض حتى تعود المنفعة بعد ذلك على الإنسان .

وقال عز من قائل : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ . (٢)

وقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾.(٣)

وقال أيضاً :﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .(٤)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . (٥)

---

(١) سورة الحج الآية ٦٣ .
(٢) سورة المؤمنون الآيتين ١٨ ، ١٩ .
(٣) سورة السجدة الآية ٢٧ .
(٤) سورة يس الآيات ٣٣ : ٣٦ .
(٥) سورة الجاثية الآيات ٣ : ٥ .

وقال أيضاً : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ .(١)

أى أن الله تعالى جعل السماء بهذه الصورة بغير عمد تعتمد عليه ، بما فيها من مصابيح ، ليست فيها تفاوت فلا اختلاف ولا فتوق والأرض بسطها وجعل فيها الجبال الثابتة ذكرى لكل من يتدبر ويتفكر فى بديع صنعه وعجائب مخلوقاته ، كما أنه تعالى أنزل من السماء ماءاً كثيراً لانتفاع الناس به فى غالب أمورهم فأخرج به البساتين والحبوب والنخيل والأشجار وذلك رزقاً للعباد وفى ذلك كله الدليل على البعث يوم القيامة ، فالخروج من القبور عند البعث مثل هذا الإحياء الذى أحيا الله به الأرض الميتة .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤ ﴾ .(٢)

(١) سورة ق الآيات ٦ : ١١ .

(٢) سورة الواقعة الآيات ٦٣ : ٧٤ .

وقال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣ ﴾ .(١)

وقال سبحانه : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ .(٢)

ومن النظر فى هذه الآيات جميعها نجد أن المخلوقات جميعها مسخرات بأمر الله قائمات على خدمة الإنسان ، باقيات على هذا الحال ما دام الإنسان باق للاختيار فى هذه الدار ، إضافة إلى أنها عابدات طائعات لربها استجابت لحكمته فى تدبير أمرها ، فبقاؤها على هذا الحال يرتبط ببقاء الإنسان إلى يوم القيامة مستخلفاً فى الأرض .

فكل المخلوقات لا يستثنى منها شئ مسخر لخدمة الإنسان ، حتى الجبال والرياح التى يظن من يراها أنها ليس فيها منفعة بل نجد أن الله تعالى جعلها ثابتة ونافعة للإنسان ومنها قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ .(٣)

(١) سورة النازعات الآيات ٢٧ : ٣٣ .
(٢) سورة عبس الآيات ٢٤ : ٣٢ .
(٣) سورة الحجر الآيات ١٩ : ٢٢ .

(والأرض مددناها) بسطناها وجعلنا فيها الجبال ثابتة لئلا تتحرك أهلها (ومن كل شئ موزون) أى كل شئ فى الأرض مقدر ومعلوم أما أنبتنا فى الجبال من كل شئ موزون من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك مما فيه منفعة للإنسان .

(وأرسلنا الرياح لواقح) فهى تحمل السحاب فتنزله إلى الأرض فيحدث الإنبات للثمار والأشجار حيث يكون رزق الإنسان ، ويكون منه شرابه وشراب ما ينتفع به من الدواب والأنعام .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ[1] وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا[2] وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ[3] تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ[4] كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ ﴾.[5]

ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا[6] لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ .[7]

كما جعل الله تعالى المعادن التى تخرج من الأرض مسخرة أيضاً للإنسان فقال تعالى : ﴿ ...وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾ .[8]

---

(١) **ظعنكم** : سير أهل البادية من موضع إلى موضع أو الهودج .
(٢) **أكناناً** : ما يكن الإنسان من المطر وهى الفيران فى الجبل .
(٣) **سرابيل** : ما يقى الإنسان من ثياب وغيره .
(٤) **بأسكم** : ضرركم فى الحرب .
(٥) سورة النحل الآيتين ٨٠ ، ٨١ .
(٦) **فجاجاً سبلاً** : أى جعلنا بين الجبال طريقاً مسلوكاً به إلى مصالح معاشهم .
(٧) سورة الأنبياء الآية ٣١ .
(٨) سورة الحديد الآية ٢٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ . (٢)

وهكذا نجد فى القرآن الكريم من هذه الآيات التى تبين تسخير ما فى السماء والأرض للإنسان الكثير والكثير ، وهذا يعتبر نعمة من نعم الله تعالى وتكريم للإنسان للاختبار فى الدنيا حتى يحمد الله عليها ويشكره ، فإذا انتهت دار الابتلاء والاختبار هيأ الله دار الجزاء والقرار فتكورت الشمس وتبعثرت النجوم وسيرت الجبال وعطلت العشار وسجرت البحار والأنهار وزلزلت الأرض زلزالها ، فقال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤ ﴾ . (٣)

---

(١) سورة النحل الآيتين ١٢ ، ١٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ١٧ .

(٣) سورة التكوير الآيات ١ : ١٤ .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾ . (١)

وقال فى موضع آخر : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ . (٢)

فالسماوات التى رفعها الله وفصلها عن الأرض من أجل الإنسان سوف تتغير بعد انتهاء دورها وأداء وظيفتها فى انقلاب كونى شامل للحياة ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦ ﴾. (٣)

كما أن الله أخفى على الناس وقت قيام الساعة لتظهر حكمته فى ابتلاء الإنسان ، ويرى سعيه فى العبادة والإيمان فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ ﴾ . (٤)

لكنه سبحانه وتعالى جعل للساعة علامات بينات ، تدل على ظهورها واقتراب موعدها ، فمنها ما روى عن حذيفة بن أسيد الغفارى ﷺ قال : «**أطلع النبى ﷺ ونحن نتذاكر فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة ، قال : إنها لن**

(١) سورة الإنفطار الآيات ١ : ٥ .
(٢) سورة الزلزلة الآيات ١ : ٨ .
(٣) سورة الفرقان الآيتين ٢٥ ، ٢٦ .
(٤) سورة طه الآيتين ١٥ ، ١٦ .

تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال ، والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ن وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » . (١)

فإننا إذا نظرنا إلى الكون وما فيه نجده كما هيأه الله فى كمال الانضباط ، كل يسير خاضعاً متواضعاً من خشية الله ، لا الشمس تتأخر فى إشراقها ، ولا القمر يتخلف عن إدراكها ، ولا النجوك تتحول عن مناراتها ، وكل فى فلك يسبحون ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ . (٢)

وعلى ذلك يمكن لكل عاقل أن يدرك أن الله تعالى خلق العالم على هذا الوضع الذى نراه اليوم ، هل سيبقى على ذلك أبد الآبدين ، أم ليوم معلوم وأجل محتوم قدره الله لانتهاء الحياة ؟ كما يدرك أيضاً أن هذا العالم نعيش فيه على الأرض يحقق فعلاً تميزاً مخصوصاً للإنسان ينفرد به عن غيره .

❁❁❁

(١) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة ج٢ ص٥٥٨ – باب الآيات التى تكون قبل الساعة .

(٢) سورة يس الآيات ٣٧ : ٤٠ .

ثالثاً : خلق آدم عليه السلام وتعظيم الله إياه

إن هذه النعمة وغيرها من النعم التى أنعم الله بها على الإنسان تعد تكريماً من الله تعالى ، وليس بعد تكريم الله تعالى تكريم .

فالإنسان مخلوق فى أتم مظهر وأحسن تقويم لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1]، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ .[2]

وقوله تعالى : ﴿ ...وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ...﴾ .[3]

وإنه متكاثر من الإنسان الأول آدم عليه السلام والآيات القرآنية التى تتحدث عن خلق الإنسان الأول تشير إلى أن الله تعالى خلقه من تراب .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ .[4]

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ .[5]

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ...﴾ .[6]

---

(١) سورة التين الآية ٤ .
(٢) سورة الإنفطار الآيات ٦ : ٨ .
(٣) سورة غافر من الآية ٦٤ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٥٩ .
(٥) سورة الروم من الآية ٢٠ .
(٦) سورة الحج من الآية ٥ .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله ﷻ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب** » . (١)

فالإنسان مخلوق من حيث الجنس الأول من عنصر التراب ، لأن القرآن الكريم قرر أن آدم عليه السلام خلق من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار ، وهى عناصر كلها ترجع إلى جوهر واحد هو التراب ، ومنه تفرعت هذه الأحوال .

قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ . (٤)

وقال أيضاً : ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ . (٥)

وقال تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾ . (٦)

---

(١) سنن الترمذى– كتاب تفسير القرآن سورة البقرة– وقال حديث حسن صحيح ج٤ ص٢٧٣ .
(٢) سورة الأنعام الآية ٢ .
(٣) سورة المؤمنون الآية ١٢ .
(٤) سورة طه الآية ٥٥ .
(٥) سورة ص الآيتين ٧١ ، ٧٢ .
(٦) سورة الإسراء الآية ٦١ .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿ ... إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ . (٣)

واللازب فى اللغة الثابت الشديد التماسك بين الأجزاء . (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ . (٥)

مسنون بمعنى متغير (٦) فهو طين منتن أسود . (٧)

مثل قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (٨)

---

(١) سورة السجدة الآيتين ٧ ، ٨ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٢ .
(٣) سورة الصافات من الآية ١١ .
(٤) فتح القدير للشوكانى ج٤ ص٣٨٨ .
(٥) سورة الحجر الآية ٢٨ .
(٦) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص٣٤٥ .
(٧) فتح القدير للشوكانى ج٣ص١٢٩ .
(٨) سورة البقرة الآية ٢٥٩ .

فمعنى (لم يتسنه) لم يتغير . (١)

وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ . (٢)

وأصل الصلصال تردد الصوت من الشئ اليابس ومنه قيل : صل المسمار . (٣)

فهذه الآيات تشير إلى أن الله تعالى خلق آدم ابتداء من الطين على هذا الشكل وبهذه الصورة ، كما أشارت الآيات إلى مراحل تطور الإنسان على الحالة التى ينتقل فيها طوراً بعد طور كما هو عليه الآن .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ . (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ . (٥)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ٣٤٥ .
(٢) سورة الرحمن الآيتين ١٤ ، ١٥ .
(٣) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ٢٨٤ .
(٤) سورة الحج الآية ٥ .
(٥) سورة المؤمنون الآيات ١٢ : ١٤ .

وهذه الأطوار التى يتكون منها الإنسان يكون من التناسل الذى جعله الله تعالى وسيلة لبقاء النوع الإنسانى على الأرض عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى ، وأنشأ بينهما المودة والرحمة وذلك بعد أن خلق الله تعالى حواء من آدم عليه السلام ، وخلق ذريتهما من نسلهما .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ . (١)

فالمراد بالنفس فى قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) آدم عليه السلام وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** » . (٢)

فالله تعالى خلق حواء أم البشر من ضلع آدم عليه السلام ، وما خلقها إلا تكملة لنظام وجود وسداد لفراغ أصيل فى جبلته ، أو لتكون هى الطرف الآخر الذى يكمل به نسقه المعنوى ونسقه الحسى جميعاً . (٣)

ومن هذه التكملة خلق الله تعالى ذريتهما ، ونسلهم من ماء مهين ومن عناصر تكوينهم التراب ، واصطفاهم الله تعالى ، ونفخ فيهم من روحه . (٤)

قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ . (٥)

---

(١) سورة النساء الآية ١ .
(٢) صحيح البخارى – كتاب الأنبياء – باب خلق آدم عليه السلام وذريته ج٤ ص١٠١ .
(٣) فتح القدير للشوكانى ج١ ص٤١٧ ، أحكام القرآن للقرطبى ج٥ ص٢ .
(٤) آدم عليه السلام للبهى الخولى ص١٦٩ .
(٥) سورة الأنعام الآية ٩٨ .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا... ﴾ . (٢)

ولذلك فإن الله تعالى من نعمته وتكريمه للإنسان أنه قد شرع له الشرائع التى يقوم عليها نظام الكون والحياة الاجتماعية ومنها النكاح الشرعى الذى من ثمرته النسل وإثراء الحياة الإنسانية .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ . (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ . (٥)

وقال سبحانه : ﴿ للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءَ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا... ﴾ . (٦)

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٩ .
(٢) سورة فاطر من الآية ١١ .
(٣) سورة الفرقان الآية ٥٤ .
(٤) سورة النحل الآية ٧٢ .
(٥) سورة الروم الآية ٢٢ .
(٦) سورة الشورى الآيتين ٤٩ ، ٥٠ .

إن فى عملية خلق الإنسان عن طريق النكاح الذى شرعه الله تعالى الكثير من المواعظ حيث يبين مراحل خلقه على أطوار متلاحقة مما يجعل إعادة هذا الخلق بعد الممات أهون وأيسر من ابتدائه وإنشائه .

قال تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۞ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ . (٤)

وقال عز من قائل : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ . (٥)

فمن مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان وإنعامه عليه إعلانه تعالى وإخباره ملائكته فى الملأ الأعلى بقراره خلق الإنسان الأول أبى البشرية جمعاء ، خليفة فى الأرض وأنه سيكون له ذرية فيهما ليكون الاحتفاء بمقدمه عليه السلام .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

(١) سورة عبس الآيات ١٧ : ٢١ .
(٢) سورة الواقعة الآيتين ٥٨ ، ٥٩ .
(٣) سورة الروم الآية ٢٧ .
(٤) سورة العنكبوت الآية ١٩ .
(٥) سورة يونس الآية ٣٤ .

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] . أليس ذلك من أكبر التكريم أن يخبر الله تعالى ملائكته وهم المقربون إليه وهم الذين أمر بالإيمان بهم قبل الإيمان برسله ، قال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ...﴾ .[2]

إنها خصوصية من الخصائص التى اختص الله تعالى بها آدم عليه السلام وذريته حتى يكون الاحترام والإجلال لذلك المخلوق حتى من الملائكة المقربين إليه تعالى ، والإخبار أيضاً بأنه سيكون خليفة الله فى الأرض مع أن الملائكة ، بفطرتهم التى خلقها الله تعالى هم عباده المقربون الذين يفعلون ما يؤمرون فهم لا يتصورون إلا الخير والنقاء والتسبيح والتقديس لله تعالى ، وأن هذا هو الغاية المطلقة للوجود ، وأن هذه الغاية تتحقق بوجودهم ، فكانت الحيرة والدهشة منهم بأن الخليفة ليس منهم ، لعدم معرفتهم بحكمة خلق هذا المخلوق الجديد .[3]

ولعل مما زاد دهشة الملائكة وحيرتهم ، معرفتهم بمخلوقات الله تعالى على الأرض ، من الجان والحيوانات ، وما حدث بينهم من إفساد وسفك للدماء ، أو أن الله أطلعهم أن هذا الخليفة سيكون له ذرية ، وأنه سيقع بينهم إفساد وسفك للدماء .[4]

فكأن الملائكة يتعجبون من أمر الله تعالى ويزكون أنفسهم لشرف الخلافة ، إذا كانت الغاية من وجود الخليفة هو التسبيح والتقديس لله تعالى ، قال تعالى : ﴿...قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٥ .
(٣) فى ظلال القرآن لسيد قطب ج١ ص٥٦ ، ٥٧ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١ ص٢٣٥ .
(٥) سورة البقرة من الآية ٣٠ .

فعلمه تعالى محيط بمخلوقاته وحكمته بالغة وعلم الملائكة قاصر على ما أخبرهم الله به ، فكان التسليم واليقين من الملائكة .

فقد اختص الله تعالى آدم بخصوصيات كثيرة عن غيره من المخلوقات جميعها فسبحانه وتعالى الخلق وحده وليس كمثله شئ فالله تعالى بذاته وصفاته الخالق ، وما سواه مخلوق وكان الله ولا شئ معه ، فخلق الخلق أى العالم ثم صار كل ما سوى الله عالماً وكل ما وجوده ليس من ذاته يسبح بحمده . (١)

فقد روى أهل اليمن قالوا : يا رسول الله جئناك لنتفقه فى الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر فقال ﷺ : « **كان الله ولم يكن شئ غيره ، وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وخلق السماوات والأرض** »(٢) فالله تعالى وحده الأول لا يشاركه غيره فى أوليته قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ...**﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿**وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾(٤) .

وكان خلقه تعالى من نفس واحدة قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء...**﴾ .(٥)

وقال تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾ . (٦)

---

(١) الروح لابن القيم ١٤٦ .
(٢) صحيح البخارى – كتاب بدء الخلق ج٤ ص٢٢٢ .
(٣) سورة الأعراف من الآية ١١ .
(٤) سورة الصافات الآية ٩٦ .
(٥) سورة النساء من الآية ١ .
(٦) سورة الأنعام الآية ٩٨ .

وقال تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ .(١)

إن آيات القرآن الكريم بما تحويه وبالتفكر والتدبر فيها تبين أن القاعدة التى خلق الله تعالى عليها الخلق هى تكريم الإنسان من البداية إلى النهاية ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ .(٢)

وقال تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ .(٣)

بمعنى أنه لم يكن شيئاً مذكوراً فى الخلق وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً ، فهذا الذكر بمعنى الشرف والقدر ، تقول فلان مذكور أى له شرف وقدر ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ...﴾ .(٤)

أى أنه قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة ، ثم لما عرَّف الله الملائكة أنه جعل آدم خليفة وحمله الأمانة التى عجز عنها السماوات والأرض والجبال ، ظهر فضله على الكل ، فصار مذكوراً .(٥)

فهذا يعتبر التكريم الأول للإنسان أنه لم يكن مذكوراً فى الخلق ولكنه مذكور عند الله بالفضل والشرف ولما سيكون له بعد ذلك فى الأرض ومن الفضل أيضاً

(١) سورة الإنسان الآيات ١ : ٣ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠ .
(٣) سورة الإنسان الآية ١ .
(٤) سورة الزخرف من الآية ٤٤ .
(٥) أحكام القرآن للقرطبى ج١٩ ص١١٩ .

أنه لم يكن هناك خلقاً بعده نعلم من خليقة الله جل ثناؤه خليقة كانت بعد الإنسان [١].

وهذا هو خلق آدم أبى البشر جميعاً ، أما بنوه فقد خلقوا أطواراً ، قال تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ . [٢]

وقال تعالى : ﴿...خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ...﴾ . [٣]

وكل المخلوقات التى خلقها الله تعالى ترجع إلى أصل واحد وهو الماء الذى هو أصل كل شئ ، قال تعالى : ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيّ...﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ...﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ . [٦]

وقد بدأ الله تعالى خلق آدم أبى البشر من الطين كما قلت سابقاً وبينت الآيات أنها إما التراب أو الطين أو الصلصال أو الفخار ، وكلها ترجع إلى مادة واحدة فى حالات مختلفة ، قال تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ . [٧]

ثم خلق الله تعالى حواء من آدم كما بينت فيما سبق ليسكن إليها ولتكون الذرية التى هى من ظهر آدم عليه السلام بعد أن أخذ عليهم الميثاق ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ

(١) أحكام القرآن للقرطبى ج١٩ ص١١٩ .
(٢) سورة نوح الآية ١٤ .
(٣) سورة الزمر من الآية ٦ .
(٤) سورة الأنبياء من الآية ٣٠ .
(٥) سورة النور من الآية ٤٥ .
(٦) سورة الفرقان الآية ٥٤ .
(٧) سورة طه الآية ٥٥ .

﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ . (١)

وقال رسول الله ﷺ : « **لما خلق الله آدم ، مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته ، إلى يوم القيامة ويجعل بين عينى كل إنسان منهم وميضاً ونوراً ، ثم عرضهم على آدم فقال : أى رب من هؤلاء ، قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وميض ما بين عينيه ، فقال : أى رب من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ، فقال : رب وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أى رب زده من عمرى أربعين سنة**» .(٢)

ثم تكون أطوار الإنسان بعد ذلك من التناسل ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ . (٤)

وقال تعالى : ﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ۞يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾(٥)، وقال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى۞مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ . (٦)

وقال تعالى : ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...﴾ . (٧)

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .
(٢) سنن الترمذى – كتاب التفسير – سورة الأعراف ج٤ ص٣٣١ ، ٣٣٢ .
(٣) سورة السجدة الآية ٣ .
(٤) سورة المرسلات الآية ٢٠ .
(٥) سورة الطلاق الآيتين ٦ ، ٧ .
(٦) سورة النجم الآيتين ٤٥ : ٤٦ .
(٧) سورة الحج الآية ٥ .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ .(١)

وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ .(٢)

وقال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى۞أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى۞ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۞فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ .(٣)

وقال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى۞مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ .(٤)

وقال تعالى : ﴿ ...يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ...﴾ .(٥)

أى يصوركم ويركب أحوالكم فى ظلمات ثلاث : هى ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة .

ثم يرسل الله تعالى إليها الملك فينفخ فيه الروح ، فعن عبدالله بن مسعودﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « **إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه ، وأجله وعمله وشقى أو سعيد ، فوالله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل الجنة ،**

(١) سورة المؤمنون الآيات ١٢ : ١٤ .
(٢) سورة فاطر الآية ١١ .
(٣) سورة القيامة الآيات ٣٦ : ٣٩ .
(٤) سورة النجم الآيتين ٤٥ ، ٤٦ .
(٥) سورة الزمر الآية ٦ .

حتى يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» .(١)

قال ابن القيم : والذى دل عليه الوحى الصادق عن خلق البشر أن الخلق ينتقل فى كل أربعين يوماً إلى طور آخر ، فيكون أولاً نطفة أربعين يوماً ، ثم علقة كذلك ثم مضغة كذلك ، ثم ينفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوماً ، كأنك تشاهده عياناً . (٢)

إن خلق الإنسان والعناية به لا تقف عند نهاية الحياة الدنيا له ، ولكنها تستمر فيما بعد الموت فى الدنيا ، قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا... ﴾** . (٣)

وقال تعالى : **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** . (٤)

لقد كرم الله الإنسان فى خلقه ، وأنشأه بعد أن لم يكن ، قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾(٥) ، ونفخ فيه من روحه ليكون أعظم المخلوقات شأناً ، فلينظر الإنسان إلى نعمة الله عليه كيف نقله من

(١) صحيح البخارى – ج٤ص٢٦٧ – كتاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
(٢) الروح لابن القيم ص١٧٤ ، ١٧٥ .
(٣) سورة الحج الآية ٥ .
(٤) سورة الليل الآيات ٥ : ١٠ .
(٥) سورة الروم الآية ٣٠ .

الذلة والقلة ، والخسة والقذارة ، إلى هذه الرفعة والكرامة ، فصار موجوداً بعد العدم وحياً بعد الموت وناطقاً بعد البكم ، وبصيراً بعد العمى ، وقوياً بعد الضعف ، وعالماً بعد الجهل ، ومهدياً بعد الضلال ، وقادراً بعد العجز ، وغنياً بعد الفقر ، وكان فى ذاته لا شئ وأى شئ أخس من لاشئ وأى قلة أقل من العدم ، ثم صار بالله شيئاً . (١)

وجعل منه تعالى الذكر والأنثى ، قال تعالى : ﴿ **فَخَلَقَ فَسَوَّى۞فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى**﴾ وذلك لينسل ويدوم وجود جنسه على وجه الأرض وتدوم الحياة الإنسانية ليخلف الله فى الأرض ، ويعمرها ولهذا فقد فرض الله تعالى على جميع بنى آدم المحافظة على بقاء النسل وإكثاره ، والعمل على إسعاده ورقيه ، حتى يرتفع إلى الكيان الإنسانى الذى خلق من أجله وخلافة الله فى الأرض .

فمن مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان ابتداء خلقه من لا شئ ثم نفخ الروح فيه وإعلان ذلك الأمر للملائكة فى السماء ، ثم اختصاصه بخلافة الله تعالى فى الأرض ، وكما بينت سابقاً فقد فضله على بقية الخلق وكرمه بأن سخر له جميع الكائنات وعظمه تعالى وقدره ، بأن نفخ فيه من روحه وجعله خليفته فى الأرض ، وهذا تعظيم من الله تعالى وليس بعد تعظيم الله إياه تعظيم وفضل وتكريم .

۞۞۞

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ج٣ ص٣٥٨ ، ٣٥٩ .

رابعاً :- تكريم الله تعالي للإنسان بنفخ الروح

لقد ورد لفظ الروح فى القرآن الكريم إحدى وعشرون مرة يختلف المعنى من آية إلى أخرى على عدة أوجه :-

١- بمعنى الوحى كقوله تعالى : ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ .(١)

وقوله تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ .(٢)

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .(٣)

وسمى الوحى روح لما يحصل من حياة القلوب والأرواح والعقول لأن به تحصل معرفة الله تعالى وملائكته ومعرفة كتبه ورسله والأرواح إنما تحيا بهذه المعارف .(٤)

٢- بمعنى جبريل عليه السلام كقوله تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾ .(٥)

وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(٦) فالروح القدس هو جبريل عليه السلام .

---

(١) سورة غافر الآية ١٥ .
(٢) سورة النحل الآية ٢ .
(٣) سورة الشورى الآية ٥٢ .
(٤) تفسير الرازى ج٢١ ص٣٢ .
(٥) سورة البقرة من الآية ٢٥٣ .
(٦) سورة المائدة من الآية ١١٠ .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ . (١)

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (٢)

فالروح الأمين هو جبريل عليه السلام لأنه هو الذى كان ينزل بالوحى على رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . (٣)

وقوله تعالى : ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ . (٤)

(فروحنا) جبريل عليه السلام وأضيف الروح إلى الله تعالى تخصيصاً وكرامة ، لقوله تعالى (فتمثل لها بشراً سوياً) لأنها لم تكن لتطيق أن تنظر جبريل فى صورته . (٥)

٣- أنها روح عظيم من أمر الله لم يذكر لنا شيئاً آخر عنه(٦) وهو المذكور فى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ . (٧)

وقوله تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . (٨)

---

(١) سورة النحل الآية ١٠٢ .
(٢) سورة الشعراء الآيات ١٩٢ : ١٩٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٩٧ .
(٤) سورة مريم الآية ١٧ .
(٥) أحكام القرآن للقرطبى ج١١ ص٩١ .
(٦) آدم فلسفة تقويم الإنسان ص٢٢ .
(٧) سورة النبأ الآية ٣٨ .
(٨) سورة المعارج الآية ٤ .

وقوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ . (١)

٤- عيسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿...إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ...﴾ . (٢)

فسمى عيسى بن مريم روح من الله تعالى تشريفاً وتعظيماً أو للتفضيل وإن كان جميع الأرواح من خلقه تعالى ، أو أنه قد سمى روحاً لما ظهر منه من الأمور العجيبة ، فإن عيسى كان يبرئ الأكمة والأبرص ويحي الموتى فاستحق هذا الاسم وأضيف إلى الله تعالى على أنه من خلقه ، كما يقال فى النعمة إنها من الله . (٣)

٥- القوة والثبات والنصر التى يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، قال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . (٤)

٦- ما تفضل الله تعالى به على الإنسان وكرمه حتى يكون أفضل خلقه بأن نفخ فيه من روحه وذلك هو قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

(١) سورة القدر الآيتين ٤ ، ٥ .
(٢) سورة النساء من الآية ١٧١ .
(٣) أحكام القرآن القرطبى ج٦ ص٢٢ .
(٤) سورة المجادلة الآية ٢٢ .

خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ . (١)

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ . (٢)

وقوله تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ . (٣)

وقوله تعالى : ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . (٤)

وقوله أيضاً : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ . (٥)

فى الآيات السابقة أسند الله تعالى النفخ إلى ذاته وينبغى أن يعرف أنه ليس كإسناد النفخ للإنسان أو غيره ، فليس كمثله شئ قال تعالى : ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ . (٦)

ونحن نجهل كنه هذه النفخة ولكننا نعرف آثارها فآثارها هى التى ميزت هذا الكائن الإنسانى عن سائر الخلائق فى هذه الأرض ميزته بخاصية القابلية للرقى العقلى والروحى ، وجعلت عقله ينظر تجاه الماضى ويصمم خطط المستقبل ،

(١) سورة الحجر الآيتين ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) سورة ص الآيتين ٧١ ، ٧٢ .
(٣) سورة السجدة الآيات ٧ ، ٩ .
(٤) سورة الأنبياء الآية ٩١ .
(٥) سورة التحريم الآية ١٢ .
(٦) سورة الشورى الآية١١ .

وجعلت روحه يتجاوز المدرك بالحواس والمدرك بالمعقول ليتصل بالمجهول للحواس والعقول . (١)

إن الواقع فعلاً من أمر الإنسان فى هذه الأرض يرشد إلى أنه يمتاز بخصوصية فى إدراكه وصفاته جعلته سيد هذه الأرض المتصرف فى كل ما فيها من ظاهر وخفى وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ . (٢)

فالحياة فى آدم لم تكن حيوانية صرفاً إنما كان يلابسها سر اللطيفة القدسية التى أمد الله بها كيانه فكانت سبب ما يعزى إليه من كمالات وإقبال على فضل السماء . (٣)

فليست الروح هى سر الحياة الذى وهبه الله للإنسان لأن سر الحياة أمر مشترك بين الإنسان والحيوان ، ولا يستحق بذلك سجود الملائكة ، وأن يجعله المؤمنون خصوصية لآدم ترشحه لمقام الشفاعة فقد ورد فى الحديث الصحيح عن الشفاعة أن الناس من هول يوم القيامة يأتون آدم ليشفع لهم عند الله فيقولون : « **أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك أشفع لنا إلى ربك ...** » . (٤)

وقد روى عن عبدالله بن مسعود أنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « **إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح**

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ج٤ ص٢٢٧ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠ .
(٣) آدم فلسفة تقويم الإنسان للبهى الخولى ٢٤ .
(٤) صحيح مسلم – ج١ ص١٠٣ – باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» .(١)

معنى ذلك أن الملك ينفخ الروح بعد نمو الجنين أى بعد ١٢٠يوماً مع أنه يتصف بالحياة قبل النفخ .

فالروح هو العنصر الخالد فى الإنسان الذى استأثر الله تعالى بعلمه ، ولا قدرة للعقل البشرى على إدراكه لأنه ليس مما تقع عليه حواسه ، قال تعالى : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (٢).

فأمر الله تعالى للملك بنفخ الروح فى الإنسان هو الذى منحه هذه الصفات والقدرات التى أهلته للخلافة وقررت أهدافه وغاياته ومناهجه وزرعت فيه المبادئ والقيم . (٣)

وبهذه الصفات التى حصل عليها الإنسان من الله تعالى تأهل لحمل أمانة التكليف ، قال تعالى : ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ . (٤)

❁❁❁

(١) صحيح البخارى – ج٤ص٢٦٧ – كتاب الأنبياء عليهم والسلام .
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
(٣) آدم فلسفة تقويم الإنسان للبهى الخولى ص٣٣ .
(٤) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

خامساً : استخلاف الإنسان فى الأرض

إنه تكريم آخر من الله تعالى للإنسان حيث جعله خليفة فى الأرض ، ولم يجعل غيره من المخلوقات لأنه وحده هو الذى قبل الأمانة التى عرضها الله عليه ولم يقبلها غيره .

قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ . (١)

فالله تعالى يخبرنا أنه ابتلى هذه المخلوقات وخيرها فى حمل أمانة معينة سوف يكلف من قبل حملها بالحفاظ عليها ومراعاتها على الطريقة التى يشرعها مالكها .

وهذا يبين أن المخلوقات التى خيرت فى حمل الأمانة أو رفضها لهن إرادة حرة مخيرة فى إمكانية القبول أو الرفض دون جبر من الله تعالى عليهن حيث إنه قد عرض عليهن الأمانة وعبر عن رأيهن بقوله تعالى : ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾ .

وإلا كان تخييرهن لهواً ولعباً ، وقد نفى العبث عن نفسه نفياً قاطعاً ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . (٢)

ومن ذلك يتبين أن الأمانة عرضت على المخلوقات ليتحقق عدل الله تعالى فى الكون ، فمن عدله أنه لا يجبر مخلوقاً على فعل شئ وهو له كاره قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ...﴾ . (٣)

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
(٢) سورة الدخان الآيتين ٣٨ ، ٣٩ .
(٣) سورة النساء الآية ٤٠ .

وقال تعالى : ﴿ ...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ...﴾ . (١)

فكل ما خلقه الله تعالى فى الكون شواهد لكمال عدله وكلها آيات وأسباب يعتبر بها أولو الألباب .

قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ . (٣)

ومن لوازم عدله تعالى أنه كان من الممكن لجميع من ذكرهم فى الآية رفض الأمانة أو قبولها ، وكان من الممكن رفض الإنسان لحملها أو استجابة السماوات أو غيرها لقبولها .

فلو حدث هذا الأمر لتغير تركيب العالم ومعالمه على وضع جديد لا يعلمه إلا الله حتى يصل العدل فى ملكه منتهاه وتظهر حكمته فى سائر المخلوقات كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهَّ بِعَزِيزٍ﴾ . (٤)

وإذا كان الله تعالى يفعل ما يشاء فى ملكه والخلق قائم على قضائه وقدره وكل شئ مفتقر إلى حكمه وأمره ، وإن شاء استخلف الإنسان بغير إرادته ، وإن شاء أجبر السماء على حمل أمانته ، وإن شاء أكره الأرض والجبال بقدرته ، إلا

(١) سورة الكهف الآية ٤٩ .
(٢) سورة آل عمران الآيتين ١٩٠ ، ١٩١ .
(٣) سورة فصلت الآية ٥٣ .
(٤) سورة إبراهيم الآيتين ١٩ ، ٢٠ .

أن عدله من لوازم حكمته ، وتخيير المخلوقات فى حمل الأمانة فما أعظمه تشريفاً وتعظيماً ممن هو قائم بالحق والعدل وصدقه تعالى فيما قال: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۞ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ . (١)

ولكن ما المقصود بالأمانة التى حملها الإنسان لقد اختلف المفسرون فيها على عدة أقوال :-

أولاً :- منهم من قال الأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها ، ثم عرضها على آدم فأخذها فتحملها . (٢)

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « **يعنى بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها ، فقال لآدم : إنى عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها ، أتأخذها بما فيها فإن أطلعت غفرت وإن عصيت حذرتك قال : قبلت** » . (٣)

ثانياً :- من المفسرين من قال : إنا عرضنا الأمانة الفرائض التى افترض الله سبحانه على العباد وشرط عليهم أن من أداها جوزى بالإحسان ومن خان فيها عوقب ، على السماوات والأرض والجبال ، أفهمهن الله سبحانه خطابه وأنطقهن فأبين أن يحملنها مخافة وخشية لا معصية ومخالفة ، وهو قوله (وأشفقن منها) أى خشين منها ، وحملها الإنسان . (٤)

ثالثاً :- أن الأمانة الدين والفرائض والحدود . (٥)

---

(١) سورة القمر الآيتين ٤ ، ٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٢٢ .
(٣) المستدرك للحاكم ج٢ ص٤٥٨ ، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
(٤) الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للواحدى ج٢ ص٨٧٥ .
(٥) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٢٢ .

وغير ذلك من الأقوال وأولى الأقوال بالصواب ، ما قاله الذين قالوا إنه عنى بالأمانة فى هذا الموضع جميع معانى الأمانات فى الدين وأمانات الناس ، وذلك لم يخص بقوله (عرضنا الأمانة) بعض معانى الأمانات . (١)

وكل هذه الأقوال لا تنافى بينها بل هى متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهى بشرطها ، وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله وبالله المستعان . (٢)

فالله تعالى قد وضع فى آيات أنها التكاليف بدليل أنه سيوقع جزائه على العباد ، فى قوله تعالى : ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ . (٣)

قال ابن كثير : إنما حمل بنى آدم الأمانة وهى التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله ، والمشركين والمشركات وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله ، وليرحم الله المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته . (٤)

وبذلك فإن الله تعالى قدر رفع منزلة الإنسان وفضله وكرمه فى ملكه وخوله ، وأنابه فى أرضه للابتلاء والامتحان ، فأصبحت الأرض أمانة ، وما فوقها يساهم فى بقائها أيضاً أمانة للإنسان لأنه الوحيد الذى وافقه على حملها ، ولم يتحقق هذا الوضع على وجه الكمال إلا باستخلافه فى الأرض كما قال سبحانه وتعالى يخاطب ملائكته : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

(١) جامع البيان لابن جرير الطبرى ج٢٢ ص٥٤ : ٧٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٢٢ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٧٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٢٢ .

خَلِيفَةً...﴾[1] فأظهر لهم بذلك سر وجود الإنسان ، وما سيتصف به على طول الزمان ، وكيف سيهيأ له المكان الذى يحققه ذلك .

ما المقصود بالخلافة ؟

لقد ورد لفظ (خليفة) فى القرآن الكريم مرتين وهما :-

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ . [2]

وقوله تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ . [3]

وورد لفظ (خلفاء) ثلاث مرات وهم :-

قوله تعالى : ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ . [4]

وقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ . [5]

(١) سورة البقرة من الآية ٣٠ .
(٢) سورة البقرة الآية ٣٠ .
(٣) سورة ص الآية ٢٦ .
(٤) سورة الأعراف الآية ٦٩ .
(٥) سورة الأعراف الآية ٧٤ .

وقوله تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ . (١)

وورد لفظ (خلائف) أربع مرات وهم :-

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (٢)

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ . (٣)

وقوله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ . (٤)

وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ . (٥)

وورد لفظ (استخلف) مرة واحدة فى :-

قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ

(١) سورة النمل الآية ٦٢ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .
(٣) سورة يونس الآية ١٤ .
(٤) سورة يونس الآية ٧٣ .
(٥) سورة فاطر الآية ٣٩ .

الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . (١)

وورد لفظ (يستخلف) أربع مرات وهم :-

قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ . (٢)

قوله تعالى : ﴿قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ . (٣)

قوله تعالى : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ . (٤)

قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . (٥)

وورد لفظ (مستخلفين) مرة واحدة فى :-

قوله تعالى : ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ . (٦)

وخليفة جمعها خلائف وخلفاء .

---

(١) سورة النور الآية ٥٥ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٣ .
(٣) سورة هود الآية ٥٧ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٢٩ .
(٥) سورة النور الآية ٥٥ .
(٦) سورة الحديد الآية ٥٧ .

فالخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه فى الأرض . (١)

فالله تعالى استخلف آدم وذريته فى الأرض فهو خليفة فيها ينفذ إرادة الله فى الكون كأنه نائب عن الله فى تصريف الكون . (٢)

وبالنظر فى الآيات السابقة ومعناها يتبادر إلى الذهن أن المراد بالخليفة هو آدم وذريته وإن كان العلماء قد اختلفوا فى ذلك الأمر .

فقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾(٣) يدل على أن الخليفة آدم ، فاكتفى بذكره عن ذكر أبنائه وذريته لأن ذكره يشملهم ، ويدل عليهم فإن الله تعالى لم يرد آدم عليه السلام وحده ، وإنما أراد النوع الإنسانى . (٤)

وهذا ما فهمته الملائكة عن إخبارا الله تعالى لهم بالأمر فردوا بما لا يتصور وقوعه إلا من ذريته(٥) فقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ . (٦)

وذلك هو ما فهمه إبليس عندما أمر بالسجود لآدم ، بسبب هذه الخلافة فامتنع عن الامتثال لأمر الله تعالى وذلك هو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

(١) المفردات للراغب الأصفهانى ١٥٧ .
(٢) القاموس القويم للقرآن الكريم ج١ ص٢٠٤ .
(٣) سورة البقرة من الآية ٣٠ .
(٤) تفسير الكشاف للزمخشرى ج١ ص٢٧١ .
(٥) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ص٢٣ .
(٦) سورة البقرة الآية ٣٠ .

مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٤﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ . (٢)

وإن ما أخبر الله تعالى به عن خلق الإنسان هى نفسها مكونات خلق آدم وذريته فكل منهم يتكون من الطين ونفخة الروح .

(١) سورة الأعراف الآيات ١٠ : ١٨ .
(٢) سورة الحجر الآيات ٣٢ : ٤٠ .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ . (٢)

وعمارة الأرض له ولذريته وأيضاً التكليف قال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ . (٤)

وقال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ . (٥)

كذلك التكريم لآدم هو تكريم له وللإنسان عامة قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ . (٦)

أيضاً خلقه وتصويره خلق وتصوير لذريته قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ

(١) سورة ص الآيتين ٧١ ، ٧٢ .
(٢) سورة السجدة الآيات ٧ : ٩ .
(٣) سورة هود الآية ٦١ .
(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
(٥) سورة الأحزاب الآية ٥٦ .
(٦) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ . (١)

إن الله تعالى اختار آدم وذريته دون باقى المخلوقات ليكون خليفته فى الأرض ، وأعلن هذه الخلافة فى الملأ الأعلى قبل ظهور التكريم ، وتشريف الخليفة وللإشارة إلى أنه ذو شأن عظيم ولم يظهر هذا التكريم والتشريف لغيره ، قال تعالى : **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾** . (٢)

وقال تعالى : **﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾** . (٣)

ومن التشريف لآدم والذى يدل على أنه خليفة لله فى أرضه أنه قد نفخ فيه من روحه وأعطاه مكانة لم تكن لأحد غيره من المخلوقات بأن جعل كل شئ فى الأرض والكون مسخراً له ، وخلق من أجله قال تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَّ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾** . (٤)

وقال تعالى : **﴿ اللهَّ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾** . (٥)

والآيات التى تتكلم عن الخلافة جميعها بالنظر إليها يدرك أن المستخلف للإنسان هو الله وحده ولا مستخلف له غيره تعالى وبين ذلك ووضحه علماء المفسرين .

---

(١) سورة الأعراف الآيتين ١٠ ، ١١ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٣٠ .
(٣) سورة ص الآيتين ٧١ ، ٧٢ .
(٤) سورة لقمان الآية ٢٠ .
(٥) سورة الجاثية الآيتين ١٢ ، ١٣ .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[1] أى إنى جاعل فى الأرض خليفة لى . [2]

وقال تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ . [3]

أى يا داود إنا جعلناك خليفة لنا فى الأرض . [4]

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. [5]

أى خلائف له فى الأرض . [6]

وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . [7]

أى يجعلهم خلفاء له فى الأرض كما جعل خلفاء له من قبلهم . [8]

---

(١) سورة البقرة من الآية ٣٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١ ص٢٢٥ .
(٣) سورة ص الآية ٢٦ .
(٤) تفسير الكشاف للزمخشرى ج٣ ص٣٧٧ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .
(٦) فتح القدير للشوكانى ج٢ ص١٨٦ .
(٧) سورة النور الآية ٥٥ .
(٨) فتح القدير للشوكانى ج٤ ص٥٧ .

فكل هذه الآيات تدل على أن الإنسان خليفة الله تعالى على وجه الكمال فالاستخلاف فعل من أفعال الله تعالى ، وأفعاله سبحانه فيها الكمال والجمال ، وتشهد لحكمته بالعظمة والجلال ، فالله لا يتصف إلا بالكمال المطلق الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، كالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والرحمة ، وغير ذلك من أوصاف الكمال ، ما ضد ذلك من أوصاف النقص كالموت والعجز والظلم والغفلة والنوم وغير ذلك ، فقد تنزه الله تعالى عن ذلك ، وقال تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ۞ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .(١)

فالله تعالى استخلف الإنسان فى الأرض لإظهار المعانى الشرعية وليحكم بين الناس بما أنزل الله ومع ذلك يتابعه ، ويراه ويسمعه ولكنه تعالى بين أن استخلافه للإنسان على وجه الابتلاء والاختبار ، فإما إلى جنة وإما إلى نار ، قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۞إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ .(٢)

وقال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ .(٣)

معنى ذلك أن استخلاف الإنسان ليس فيه غيبة من الله تعالى عنه بل إن الله يرعاه فى استخلافه إذ أنه يعلم كل صغيرة وكبيرة فى خلقه لا يغيب عنه شئ قال تعالى : ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ

(١) سورة الصافات الآيات ١٨٠ : ١٨٢ .
(٢) سورة الإنسان الآيات ١ : ٤ .
(٣) سورة الملك الآيتين ١ ، ٢ .

شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۞ سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ . (١)

وقال تعالى : **﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** . (٢)

وقال تعالى : **﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** . (٣)

ومن الجهل ادعاء الإنسان لعلم الغيب أو القول على الله بلا علم قال تعالى : **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** . (٤)

ولذلك كلف الله الإنسان بالتصديق لأركان الإيمان ، قال تعالى : **﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ۞والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ۞أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۞إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**. (٥)

فأركان الإيمان هى سر الحياة وهى التى وضحها رسول الله ﷺ عندما سئل ما الإيمان ؟ قال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله** » قال : صدقت . (٦)

---

(١) سورة الرعد الآيات ٨ :١٠ .
(٢) سورة السجدة الآية ٦ .
(٣) سورة الحشر الآية ٢٢ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٣٦ .
(٥) سورة البقرة الآيات ١ : ٦ .
(٦) صحيح مسلم – كتاب الإيمان ج١ ص٢٤ .

استخلاف الإنسان فى الأرض مقيد بالخضوع للتكليف وإظهار العبودية والعمل فى أرض الله بالإرادة الشرعية ، والحكم فى الرعية بالشريعة الإسلامية التى شرعها الله تعالى له .

قال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته** » . (١)

فيجب على الإنسان أن يرجع إلى ربه يحكم استخلافه له ورعايته إياه – فى طلب الهداية والعون حتى يعينه فى الحفاظ على الأمانة ليبقى أميناً .

ولذلك فإن القرآن الكريم جاء بإحياء فطرة التوحيد فى نفوس من استخلفهم بالاعتماد عليه تعالى فى كل مسألة فيستعين به فى كل شئ ويدعوه .

قال تعالى : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ . (٤)

---

(١) صحيح البخارى – كتاب الجمعة ج٢ ص٣٣ .
(٢) سورة غافر الآية ٦٠ .
(٣) سورة غافر الآية ٦٥ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٦٠ .

وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ . (٢)

وذلك هو فعل رسول الله ﷺ الذى يقتدى به فى جميع أفعاله ، كان منهجه العون من الله والاعتراف له تعالى بالعجز الدائم فى بقاء الأمانة على شرع الله ، ومن ذلك أنه كان يقول فى سفره : ﴿...سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾(٣) ، « **اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المال والأهل ، وإذا رجع قالهم ، وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون** » . (٤)

مما سبق يتبن أن المقصود من استخلاف الإنسان فى الأرض الاختبار والابتلاء ، وقد هيأ الله الكون ليحقق استخلاف الإنسان فى الأرض حيث قبل الأمانة ، والأرض محل الابتلاء والأمانة التى سيسأل عنها الإنسان ، والله يعطى من خيراتها ما يشاء لمن يشاء على سبيل الأمانة والابتلاء ، وعلى هذا فالإنسان خليفة الله فى الأرض لإظهار معانى العبودية ، من القيام بشرعه وتنفيذ أمره .

---

(١) سورة هود الآية ١٢٣ .
(٢) سورة هود الآية ٥٦ .
(٣) سورة الزخرف من الآية ١٣ .
(٤) صحيح مسلم – كتاب الحج ج١ ص٥٦٤ .

فإن أطاع الله وأدى الأمانة والحقوق لأهلها وكان خاضعاً لله تعالى عابداً على الوجه الذى أراده الله ، أبقاه فى الآخرة على هذا الشرف الذى ناله فى الابتداء عند عرض الأمانة ، وإن كان كافراً بالله مشركاً ، كان ظلوماً جهولاً خاسراً فى الابتداء والانتهاء .

كما يتبين أن الاستخلاف أدى إلى ظهور عالم الغيب والشهادة بالنسبة للإنسان ، فالله غيب لا يراه الإنسان فى الدنيا من أجل الابتلاء ، لكن الله يعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وعلى ذلك أصبح الإيمان بالغيب هو أساس البنيان الذى يعيش به الحياة .

ولكون الإنسان هو الذى قبل الأمانة ورفضتها السماوات والأرض والجبال رفعه الله على غيره ، وجعل مكانته فى الوجود أعلى ممن رفضها ثم سخر له كل من الأرض ، وجعل الأرض أمانة بين يديه فى هذا العالم ، فهو الوحيد ما بين هذه الكائنات الذى لم يرفض أمانة الله عند عرضها ، فاستحق بعد الله الرفعة بعد قبوله لها ، وظهر هذا التكريم فى الوصف الذى تميز به الإنسان عن غيره ، وهو استخلافه فى الأرض وتهيئة العالم من حوله لهذه الغاية ، فالله استخلفه وخوله وفوضه أن يتصرف فى الأرض على النحو الذى يشرعه صاحب الأمانة ويكلفه به ، من خلال الرسالة السماوية التى سيرسلها له وسيجعل الله كل ملك أو مال أو أرض أو أى نعمة يتملكها الإنسان أمانة بين يديه ، يستمتع بها ويتملكها على أمر الله وتوجيهه له فيها ، فهو مستخلف فيها فقط وهى أمانة مسئول عنها أمام ربه يوم القيامة ، فكل إنسان أمين حتى على نفسه وبدنه ، يتصرف فيه على مراد ربه ، فمالكه الحقيقى هو الله تعالى .

سادساً : اختصاص الإنسان بالعلم

إن العلم من المزايا التى اختص الله سبحانه وتعالى به الإنسان وشرفه وكرمه وفضله من بين الكائنات التى خلقها ، فقد بين الله تعالى ذلك للملائكة عندما سألوه عن الحكمة فى خلقه لهذا الكائن .

قال تعالى : ﴿...أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ .(١)

أى أعلم من المصلحة الراجحة خلق هذا الصنف على المفاسد التى ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم فإنى سأجعل فيها الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعبا والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون ، والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى ، المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم .(٢)

فأجابهم سبحانه بكونه عالماً فلم يجعل سائر صفات الجلال من القدرة والإرادة والسمع والبصر والوجود والقدم ، والاستغناء عن المكان ، والجهة جواباً لهم ، وموجباً لسكوتهم وإنما جعل صفة العلم جواباً لهم ، وذلك يدل على أن صفات الجلال والكمال وإن كانت بأسرها فى نهاية الشرف إلا أن صفة العلم أشرف من غيرها ، ثم إنه سبحانه إنما أظهر فضل آدم عليه السلام بالعالم .(٣)

قال تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۞ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ .(٤)

---

(١) سورة البقرة من الآية ٣٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٦٩ .
(٣) تفسير الرازى ج٢ ص١٨٣ .
(٤) سورة البقرة الآيتين ٣١ ، ٣٢ .

وهذا العلم هو الذى أورثه آدم بنيه ، وصار ينمو ويتطور ويتقدم حتى اكتشف به الخوارق الطبيعية ، وصنع به المعجزات ، حتى صار مستعداً لإدراك حقائق الأشياء ، والإطلاع عليها ، والاشتغال بعبادة الله .(١)

فالله تعالى حكيم فى فعله ، والإنسان الذى خلقه الله ليستخلفه فى الأرض أعطاه الله تعالى إمكانية العلم بجميع الأشياء التى يتمكن بها من الأرض أعطاه الله تعالى إمكانية العلم بجميع الأشياء التى يتمكن بها من التمييز بين ما ينفعه وما يضره ، ويزداد بزيادة العلم خشية من ربه ، قال تعالى : ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء...﴾ .(٢)

فهناك توافق بين تعلم آدم الأسماء ليزاد بها قربة من الله ، مع دعوة البشر إلى النظر فى خصائص الأشياء ومسمياتها وتدبر العلماء على اختلاف أصنافهم فى خلق الله ليزدادوا بذلك علماً بالخالق ، ويكون العلم بالأسماء وسيلة لهم إلى القرب من الله ، وباعثاً لخشية وتقواه .

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ .(٣)

إن الله تعالى أودع فى نفس آدم علم جميع الأشياء من غير تحديد ولا تعيين(٤) ، جليلها وحقيرها ، ما كان كائناً منها ، وما سيكون إلى يوم القيامة ، لم

(١) تفسير الرازى ج٢ ص١٨٢ .
(٢) سورة فاطر من الآية ٢٨ .
(٣) سورة فاطر الآيتين ٢٧ ، ٢٨ .
(٤) تفسير المنار ج١ ص٢٦٢ .

يدع من ذلك شيئاً كبر أو صغر ، وعلمه أسماءها كلها باللغة التى كانت كائنة ، وبكل لغة إلى يوم القيامة . (١)

فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « **ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ** » . (٢)

إن الله تعالى من بداية خلقه للإنسان توجه بهذا التكريم والفضل فأودع فيه ما يستطيع به إدراك الحقائق الكبرى فى الوجود دون علمه منذ نشأنه أسماء الأشياء كلها .

قال تعالى : ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ...**﴾ . (٣)

فالله سبحانه قد بث فى هذا الإنسان سر الاهتداء إلى خصائص الأشياء والانتفاع بها وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية .

فآدم عليه السلام إنما تعلم حقائق الأشياء وليس مجرد الأسماء فقط ، وتعلم سنن الله التى تحكمها وتضبطها وتنظم نفعها وضرها ، والمراد بالتعليم أنه بث فيه من أسرار الفهم والتمييز والاستعداد الفطرى ما يكشف به تلك النواميس والسنن وهذا الاستعداد شامل لجميع أفراد النوع الإنسانى .

كما أن الله قد زود الإنسان بطاقات أخرى يدرك بها الحقائق من أبرزها الإرادة الضابطة ، والقوة الفاعلة ، والقدرة على التوجه إلى الله وعلى الاستقرار والمتاع . (٤)

---

(١) آدم فلسفة تقويم الإنسان ١١٢ .
(٢) صحيح مسلم ج١ ص١٠٣ – كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .
(٣) سورة النحل من الآية ٧٨ .
(٤) آدم فلسفة وتقويم الإنسان للبهى الخولى ١١٤ .

إن هذه الخاصية التى خص الله بها الإنسان يجب أن يقابلها بالتعلم والتطور فإن فعل كانت سبباً فى تميزه الذى استحق به أن تسجد له الملائكة فسائر المخلوقات وإن تعاقبت عليها القرون ، وتوالت عليها الأحقاب لا تتبدل أحوالها حيث تبدأ من حيث بدأ أجدادها أما الإنسان فإنه يتطور ويزيد على ما تركه من قبله فهو يرتقى من حال إلى حال كما هو ظاهر فى حياة الإنسان الفكرية والعملية .

وقد سخر الله ﷻ كما بينت سابقاً – كل ما فى السماء وما فى الأرض لخدمة الإنسان ، وقد دلت الحقائق العلمية بأن كل ما انطوى عليه الكون فيه منافع لهذا الإنسان سواء استثمر هذه المنافع أم لم يستثمرها ، فلذلك كان الإنسان بحاجة إلى العلم لمعرفة حقائق الأشياء وطبائعها ليكون تعامله معها تعاملاً متقناً لا يخرج عن حدود المنفعة إلى المضرة .

وكما أن تكريم الله تعالى لأصل الإنسان كان تكريماً متوجاً بشرف العلم فإن الرسالات السماوية التى جاءت من عند الله تعالى هى رسالات علمية جاءت لتهدى هذا الإنسان إلى الصراط المستقيم ولتأخذ بعقله ليتدبر فى هذا الكون ، وينفذ ببصيرته إلى ما وراءه ، ليدرك أن ما وراء هذا الكون مكوناً يدبر كل من ذرات هذا الوجود ، وتتجلى آثار قدرته فى كل ما يلمحه الإنسان ، وقد جاءت الرسالة الخاتمة التى نزلت على الرسول ﷺ رسالة قائمة على العلم من أساسها ، إذاً أول كلمة وصلت إلى مسمع النبى ﷺ من وحى الله تعالى هى كلمة (أقرأ) هذا الأمر وإن كان من حيث لفظه موجه إليه ﷺ إلا أنه من حيث معناه يشمل هذه الأمة جميعاً ، فهى أمة مطالبة بأن تكون أمة علم ، أمة قراءة ، فلا يستطيع المسلم أداء رسالته فى هذه الحياة ما لم يتسلح بسلاح العلم مع سلاح الإيمان ، ويؤكد ذلك ما جاء بعد ذلك فى قوله تعالى : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ۞

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ .(١)

فقد ذكر الله تعالى فى هذه الآية أهم وسيلة من وسائل العلم وهى القلم ، كما ذكر خلق الإنسان من علق ليشير إلى مبدأ خلقه حتى يكون الإنسان متأملاً متدبراً ناظراً فى أطوار خلقه ليصل من خلال ذلك إلى تعظيم خالقه مستعملاً عقله الذى يوصله إلى ذلك الأمر .

فإذا كان الله تعالى قد كرم الإنسان وشرفه بأن أعطاه علماً لم يطعه تعالى لملائكته المقربين إليه ، فإنه يدل على أنه قد ميزه عن باقى الكائنات بأن أعطاه عقلاً على مستوى عالى من الكمال يمكنه التعرف به على خصائص الأشياء ، وأن يضع لها من الأسماء ما يشاء ، وأثبت ذلك للملائكة فقال : **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** .(٢)

أى أنبئونى بأسماء من عرضه عليكم أيتها الملائكة القائلون أتجعل فيها من يفسد الدماء من غيرنا أم منا نسبح بحمدك ونقدس لك ، إن كنتم صادقين فى قولكم أنى إن جعلت خليفتى فى الأرض من غيركم عصانى ذريته وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أطعتمونى واتبعتم أمرى بالتعظيم لى والتقدير .(٣)

فعندما عجزت الملائكة عن الجواب وقالوا : **﴿...سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا...﴾**(٤) ، وبين الله فضل آدم عليهم كما ورد فى الكتاب : **﴿قَالَ يَا آدَمُ**

(١) سورة العلق الآيات ١ : ٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ٣١ .
(٣) جامع البيان لاب جرير الطبرى ج١ ص٢١٨ .
(٤) سورة البقرة من الآية ٣٢ .

أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَـمَّا أَنبَـأَهُمْ بِأَسْـمَآئِهِمْ قَـالَ أَلَمْ أَقُـل لَّكُـمْ إِنِّي أَعْلَـمُ غَيْـبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ . (١)

قال الله بعد ذلك : **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ...﴾** . (٢)

فكان التشريف الأعظم لآدم عليه السلام ، وسائر الإنس على مدار الأيام ، وكان أيضاً الابتلاء الأعظم للملائكة عندما وقع عليهم هذا التكليف ، الذى لا يخطر على البال ، والذى يظهر حكمته على وجه الكمال ، ويحقق فى الخلق عدل رب العزة والجلال .

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية ٣٣ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٣٤ .

سابعاً : دعوة الملائكة إلي السجود لآدم

لقد دعا الله سبحانه الملائكة أن يسجدوا لآدم يوم أن أنشأه ونفخ فيه الروح التى صار بها إنساناً يحمل مقومات الإنسان التى تسمو به إلى أعلى أفق الكائنات التى خلقها الله ﷻ .

وقد ورد هذا الأمر من الله تعالى للملائكة بالسجود فى المواضع التى ذكرت فيها فى قصة آدم وهى سبع مواضع كما قلت فى أول البحث .

فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ . (١)

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ . (٢)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ . (٣)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ . (٤)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ . (٥)

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٤ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١١ .
(٣) سورة الحجر الآيات ٢٨ : ٣١ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٦١ .
(٥) سورة الكهف الآية ٥٠ .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ . (١)

وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ . (٢)

إن هذا الأمر من الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم ما هو إلا لإظهار خاصية أخرى من الخصائص التى ميز الله بها الإنسان التى أهلته لأن يكون خليفة الله فى أرضه .

فقد أمرهم تعالى بالخضوع لآدم وعبر عن ذلك بالسجود ، وهو سجود لا لفرض صفته ، ولكن أصول الدين تعلمنا أنه ليس سجود عبادة إذ لا يعبد إلا الله تعالى ، والسجود فى اللغة التطامهم والخضوع والإنقياد ، وأعظم مظاهره الخرور نحو الأرض للأذقان ووضع الجبهة على التراب ، وكان عند بعض القدماء من تحية الناس للملوك والعظماء، ومنه سجود يعقوب وأولاده ليوسف عليه السلام ، والسجود لله تعالى قسمان سجود العقلاء المكلفين له تعبداً على الوجه المشروع ، وسجود المخلوقات كلها لمقتضى إرادته فيها .

قال تعالى : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ . (٤)

---

(١) سورة طه الآية ١١٦ .
(٢) سورة ص الآيات ٧١ : ٧٤ .
(٣) سورة الرحمن الآية ٦ .
(٤) سورة يوسف الآية ٤ .

وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ...﴾ . (٣)

يقول الراغب : « أمروا بالتذلل له والقيام بمصالحة ومصالح أولاده فأتمروا إلا إبليس » . (٤)

فإذا كان فى سجود الملائكة معنى الذل ، فليس هو ذل العبودية ، ولا الذل المضيع للكرامة ، إنما هو ذل المودة ، فهو سجود فيه معنى التحية والمودة وخفض الجناح ، والإقرار بالفضل . (٥)

وقال القرطبى : « وقال قوم لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذى هو وضع الجبهة على الأرض ولكنه مبقى على أصل اللغة ، فهو من التذلل والإنقياد أى اخضعوا لآدم وأقروا له بالفضل » . (٦)

وعلى ذلك يتبين أن السجود لآدم ما هو إلا سجود تعظيم وإجلال ومظهر من مظاهر التواضع بعد أن ظهرت ميزته السابقة وهى علمه بجميع الأشياء .

---

(١) سورة النحل الآية ٤٩ .
(٢) سورة الرعد الآية ١٣ .
(٣) سورة الحج من الآية ١٨ .
(٤) المفردات فى غريب القرآن ٢٢٩ .
(٥) آدم فلسفة تقويم الإنسان ص٧٧ .
(٦) أحكام القرآن للقرطبى ج١ ص٢٩٣ .

وهذا الإجلال والتعظيم ليعلم الإنسان مكانته عند الله تعالى ، وعظم المهمة التى كلفه الله بها ، والتى من أجلها أسجد له الملائكة ، فيدفعه إلى الطاعة والإيمان ، فلا يفكر بعد هذا الفضل والتكريم فى الكفر والعصيان ، فبعد هذه المنزلة التى أعطاها الله له ، ولو كفر أحد بربه وابتع سبيل الشيطان استحق بالله أشد العذاب .

قال تعالى : ﴿...إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾[1] ولكانت الملائكة التى سجدت له أولى بهذه المنزلة منه ، لأنهم كانوا يرون أنفسهم أصلح بخلافة الأرض .

قال تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ .[2]

إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ابتلاءً واختباراً لهم ، لينظر تعظيمهم وطاعتهم لله فيما أمر ، فمن سجد منهم فقد صدق فى قوله : ﴿...وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...﴾[3] ومن امتنع كان ادعاؤه للتسبيح والتقديس كذباً ويستحق قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ .[4]

وقوله تعالى : ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .[5]

إن امتثال الملائكة لأمر الله تعالى وسجودهم لآدم يعتبر اعترافاً وإقراراً منهم بمنزلة الإنسان وتعظيماً للدور الذى سيقوم به ، وأنه خليفة الله فى الأرض على وجه الابتلاء ، وأنه الوحيد الذى ميزه الله عن الكائنات جميعها ، فهو القائم عليها

(١) سورة الكهف من الآية ٢٩ .
(٢) سورة الزخرف الآية ٦٠ .
(٣) سورة البقرة من الآية ٣٠ .
(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٩ .
(٥) سورة الحجر الآيتين ٣٠ ، ٣١ .

بأمر الله وشرعه ، وهو المستفيد منها إلى قيام الساعة ، فمن سجد لآدم أقر بذلك ، ومن امتنع منهم كان معترضاً على فعل الله مشكاً فى حكمته .

إن الله تعالى أمرهم بالسجود لآدم ليقروا ويعترفوا بالإنسان الذى كرمه الله ، وليتبعه جميعاً بالقيام على خدمة الإنسان وأموره اللازمة لتحقيق استخلافه فى الأرض والقيام أيضاً على أمور الكائنات من حوله لتظل مسخرة للإنسان إلى يوم القيامة ، وأنهم إذا سجدوا لن يعصوا الله أمراً فى تدبير شئونه حيث قال تعالى : ﴿يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .(١)

ولو خالف أحدهم أمر الله فسوف يعذبه فى جهنم عذاباً شديداً ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(٢) ، فوافقت الملائكة بسجودها وخضعوا ولم يستكبروا ، وأبدوا استعدادهم لأمر الله فى تدبير شئون الحياة .

فقسمهم الله ونوعهم وعلمهم وكلفهم ، فهم أمر الله قائمون على شئون الإنسان يدبرون أمره ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .(٣)

ولعظمة ما يقومون به وعدل الله تعالى أقسم بهم فى قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۞ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۞ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۞ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ .(٤)

ولو شاء الله تعالى لاستخلفهم فى الأرض بدلاً من الإنسان قال تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ .(٥)

ولولا أن الله قضى باستخلاف الإنسان فى الأرض وابتلائه لكان الناس أمة واحدة لا يعصون كأمة الملائكة .

---

(١) سورة التحريم الآية ٦ .
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٩ .
(٣) سورة النحل الآية ٥٠ .
(٤) سورة النازعات الآيات ١ : ٥ .
(٥) سورة الزخرف الآية ٦٠ .

قال تعالى :﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .(١)

وقال تعالى : ﴿...وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.(٢)

مما سبق يتبين أن الخصائص التى تميز بها الإنسان تجعله مستعداً للصعود إلى أسمى درجات الكمال ، كما أنها تجعله مستعداً للهبوط إلى أدنى درجات النقص والانحطاط ، وهو بذلك أهل للخير والشر أى أنه أهل للتكليف والمسئولية وصدق الله حيث يقول : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ . (٣)

❁❁❁

(١) سورة هود الآيتين ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) سورة المائدة من الآية ٤٨ .
(٣) سورة التين الآيتين ٤ ، ٥ .

ثامناً : تكريم الله تعالي

للإنسان بما أودع فيه من سنن الفطرة

إن الإسلام دين الفطرة ، قال تعالى : ﴿ ...فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ... ﴾[1] ، وتتمثل هذه الفطرة فى طهارة المسلم ظاهراً وباطناً ، فأما طهارة الباطن فهى متعلقة بالقلب وتعنى تطهير النفس الإنسانية من الشرك بالله ، وتتطلب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، والقيام بالأعمال الصالحة والأفعال الخيرة ، وأما طهرة الظاهرة فهى الفطرة العملية التى تشتمل على كل ما كان متعلقاً بجمال المظهر عند الإنسان المسلم وحسن سمته ، لما فى ذلك من ملائمة للفطرة السوية التى خلق الله الإنسان عليها ، والتزام بهدى النبوة المبارك .

ولأن الإسلام هو دين الفطرة ، فقد قدم لها ما يصلحها وما يصلح لها من تعاليم وتوجيهات .

إن هذه السنن فى مجموعها تمنح الإنسان تكريماً إليها يأتى كأبدع ما يكون التكريم .

وتدعوا التربية الإسلامية دائماً ، وتحث على الاهتمام بالمظهر الشخصى والناحية الجمالية ليكون المسلم جميلاً فى مظهر ، قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ .[2]

إن فى ذلك إشباع لحاسة الجمال فى نفس المسلم ، فيتولد فى أعماقه إيمان شديد بعظمة الخالق سبحانه الذى أحسن كل شئ خلقه ، والذى صورنا فأحسن صورنا ، وخلقنا فى أحسن تقويم .

---

(١) سورة الروم من الآية ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

ومن عناية الإسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن التى تربى المسلم تربية جمالية تتمثل فى :

الطهارة الحسية الجسدية وهى مما يحبه الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿...وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1] ويتمثل ذلك فى تطهير البدن بالوضوء والغسل فينعكس ذلك بدوره على المظهر الخارجى .

الطهارة المعنوية التى تغرس فى النفوس تطهير الضمير كعبادة وطاعة وامتثال لأوامر الله سبحانه ورسوله ﷺ .

وهذه التربية تؤدى بدورها إلى تطهير النية والعمل والسلوك ، فنظافة المظهر تدعو لنظافة الجوهر ، ونظافة الشكل دعوة لنظافة الضمير ، ونظافة الفرد دعوة لنظافة المجتمع .

وبذلك يتحقق بعد تربوى إسلامى عظيم يتمثل فى طهارة المجتمع المسلم طهارة معنوية من الفواحش والمعاصى والذنوب والآثام ، فترتفع النفس المسلمة من رجس الفواحش إلى نظافة الأحلام وتربية السلوك ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامة حتى تصبح التربية شاملة للنفس والعقل والجسم .

وليس هذا فحسب إن فى هذه السنن دعوة لتأليف القلوب ومحبتها ومودته ، فيها توطيد للصلة بين الإنسان المسلم وزوجته فتكون حياتهما مبنية على الرحمة والمودة وقائمة على الراحة والقبول .

وقد كان النبى ﷺ قدوة تحتذى فى هذا الشأن .

إن الكيان البشرى يشتمل على عدة وحدات هى :-

الجسم والعقل والروح ولذلك الإسلام حرص على الربط بين هذه الوحدات فى تربية المسلم ، ليجعل منه كياناً واحداً مترابطاً .

(١) سورة التوبة من الآية ١٠٨ .

وكذلك جاءت شخصية الإنسان المسلم متوازنة سوية متكاملة لا يطغى فيها جانب أو يهمل على حساب الجانب الآخر .

إن هذه السنن التى سنها الإسلام للإنسان ما هى إلا دليل على أعظم تكريم من الله تعالى له ، فالدين الإسلامى هو المنهج الربانى المتكامل والمناسب للفطرة الإنسانية ، لأنه جاء من عند الخالق ﷻ لصياغة شخصية الإنسان صياغة متوازنة متكاملة ، لا ترفعه إلى مقام الألوهية ، ولا تهبط به إلى الدرك الأسفل ، وإنما لتجعل منه خير نموذج على الأرض ومن ذلك نجد أن الله تعالى لم يترك أى شئ يخفى الإنسان إلا ووضحه له كى يسير على المنهج المستقيم ويتبع الطريق المستقيم الذى رسمه تعالى له ليصبح بذلك حقيقاً بأن يكون خليفته فى الأرض ويكون منه عمارة الأرض ، ويتحقق مبدأ التكريم الإلهى للإنسان فى هذه الحياة الدنيا .

ففى قص الأظافر مثلاً تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات ذات المخالب ، وفى حلق الشعر ونتفه تمييز للإنسان المسلم عن غيره من المخلوقات ذات الشعور المرسلة والمسدلة على أجسادها بلا ترتيب ولا انتظام ، وفى السواك والمضمضة تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات التى لا تنظف أفواها ولا تعتنى بنظافة أسنانها .

وكل ما ذكر من تكريم فإنه حال كونه حياً يدب على الأرض ، فما دام حياً من الأحياء فقد حشد له الإسلام كبر العناية والحرص وزاحر التشريع والأحكام ليعيش آمناً مطمئناً لا يمسه أذى أو شر لا فى نفسه ولا فى بدنه ولا فى شعوره ولا فى نسكه أو ماله أو من يعول .

أما إذا مات الإنسان والتحق بقوافل الراحلين فقد حشد له الإسلام كذلك حشداً عظيماً من الإكرام والتقدير ، فهو عند الموت يسن لمن حوله أن يلقنوه شهادة لا إله إلا الله ليكون ذلك له خير ختام يفارق عليه الدنيا .

وإذا كان على وشك الموت غير مسلم فإنه يسن لمن حوله أن يعرضوا عليه الإسلام كما عرضه النبى ﷺ على عمه أبى طالب عندما كان على فراش الموت .

ومن السنة أن يقرأ سورة يس على من يحضره الموت .

فإذا تحقق الموت وجب الغسل والتكفين والصلاة عليه ثم التشييع إلى القبر ودفنه .

وكل ذلك لا يراد به إلا التكريم للإنسان المؤمن تكريماً يليق به كإنسان متميز مفضل كرمه الله وركبه أحسن تركيب : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾ .(١)

وفى هذه الأمور جميعها رفع لمستوى الإنسان المسلم وتكريم له على غيره من الكائنات والمخلوقات الأخرى .

لذا على الإنسان المسلم أن يحترم هذه المكانة التى أنزله الله إياها ، وألا يهبط بها عن مستواها الإنسانى الرفيع الذى خصه الله به عمن سواه .

فتكريم الله تعالى للإنسان نابع فى الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج الله فى الأرض .

هذا التكريم واضح فى تربية الإنسان المسمى وهى التربية التى تسعى إلى تحقيق غاية عظمى ، وهدف أسمى يتمثل فى استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذى لا تشوبه شائبة وذلك أمر لا يمكن تحقيقه إلا بممارسة شرائع الإسلام واتباع تعاليمه والانقياد لأوامره والابتعاد عن نواهيه فالاستقامة تأتى بعد الإيمان لأنها أثر من آثاره ونتيجة من نتائجه .

(١) سورة الإنفطار الآيتين ٧ ، ٨ .

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾ . (١)

فهذه الاستقامة لا تتحقق إلا بالفقه الشرعى ومعرفة أمور الدين ، والإحاطة بتعاليمه ، ورعاية الأخلاق وتطبيقها فى واقع الحياة ليصبح الإنسان المسلم بذلك كله قدوة صالحة وأسوة حسنة ، ثم لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله سبحانه وعلى خشيته وتقواه فى كل لحظة وفى كل صغيرة وكبيرة ، استقامت جوارحه كلها على الطاعة والامتثال .

وهذا يؤهل من قام به والتزمه ليكون من حملة الرسالة الخالدة الذين قال الله سبحانه فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ . (٢)

وبهذا يمكن القول بأن الإنسان قد قام بما أهله الله تعالى من الخلافة فى الأرض وحمل الأمانة التى عجزت جميع الكائنات عن حملها ، ويتحقق بها ما وعده الله تعالى به من جزاء يوم القيامة .

۞۞۞

(١) سورة النساء من الآية ١٢٥ .
(٢) سورة فصلت الآية ٣٠ .

الخاتمة

إن الإنسان لا يستطيع الاهتداء إلى الغاية من وجوده بحواسه بل إنه بحاجة إلى الوحى الإلهى الذى يمنحه هذا الاهتداء .

ولذلك فإن قضية الإيمان أهم من قضية الوجود ، وإن كان الوجود يدل عليه ويؤكده إذا اهتدى إليه .

فالوحى الإلهى لا يمنعه من البحث والدراسة للتأمل والتفكير فى مخلوقات الله والاستفادة منها ، وهذا لن يزيده إلا إيماناً بما منحه من أخبار ، ليس فيها نقيضة للعقل .

ولذلك فالوحى الإلهى يحمل معه المعجزات التى تدل على صحته وصدقه فى أنه من لدن لطيف خبير .

ولقد تعرض القرآن الكريم والسنة النبوية إلى خلق الإنسان وتكريمه على أحسن الوجوه ، وبينت الغاية الأسمى من وجوده .

فأبين ما توصل إليه البحث من ذلك :

إن آدم عليه السلام هو الإنسان الأول ، وخلق زوجه منه وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً ، فخلق ذريتهما من التزاوج والتناسل وظلمات ثلاث فى بطون أمهاتهم أما خلق زوجة فمن ضلع آدم ، أما آدم فلم يخلق مثل ذلك .

فآدم عليه السلام خلق فى الملأ الأعلى صنعه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه أمام كل ملائكته .

فهذه خصوصية لآدم لم تكن لغيره ، والمؤمنون يذكرونها فى مقام الشفاعة يوم القيامة .

إن الإنسان يتمتع بخصائص لم تكن لغيره من المخلوقات أنه تعالى خلقه ولم يكن شيئاً موجوداً ، أنه نفخ فيه الروح ثم سخر له الكون والأرض بالقوانين والسنن التى تتناسب مع خصائصه .

ولذلك تأهل الإنسان للخلافة عن الله تعالى فى الأرض لعمارتها بالتغيير والتبديل لما لديه من قدرات وإمكانيات .

إن الخلافة التى منحها الله تعالى للإنسان بداية للتكليف الذى كلفه الله تعالى به ليترتب عليه بعد ذلك الثواب والعقاب فى الآخرة .

إن التشريع الإسلامى وسنن الفطرة التى أودعها الله تعالى فى الإنسان ما هى إلا تكريم وتفضيل له لا يتمتع به غيره من الكائنات .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

الباحثة

نزهة عبد الرحمن زايد

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم والتفسير .
٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقى دار الحديث .
٣- التفسير الكبير للفخر الرازى طبعة دار الكتب العلمية .
٤- تفسير القرآن الكريم للحافظ بن كثير طبعة عيسى البابى الحلبى .
٥- تفسير الفتوحات الإلهية بتوضيح الجلالين تأليف سليمان العجيلى الشهير بالجمل ط الحلبى .
٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٧- فتح القدير لمحمد بن على محمد الشوكانى طبعة دار المعرفة .
٨- فى ظلال القرآن لسيد قطب دار إحياء التراث العربى .
٩- تفسير الكشاف للزمخشرى ط دار الريان للتراث .
١٠- الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى – تحقيق صفوان عدنان داود ط دار القلم بيروت .
١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى – دار الجيل .
١٢- جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى – دار الفكر بيروت .
١٣- تفسير المنار للشيخ محمد عبده تأليف السيد محمد رشيد رضا دار الفكر .
١٤- صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى – دار القرآن بيروت .

مراجع كتب السنة :-

١٥- المستدرك للحاكم .
١٦- سنن الترمذى تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان – دار الفكر العربى بيروت .
١٧- صحيح البخارى – المكتبة الثقافية بيروت .
١٨- صحيح مسلم – دار الكتب العلمية بيروت .

١٩- الأمثال فى الحديث النبوى للراغب الأصفهانى تحقيق د / عبدالعلى عبدالحميد – ط الدار السلفية .

مراجع وكتب أخرى :-

٢٠- إحياء علوم الدين للإمام محمد الغزالى ط دار التراث العربى بيروت .
٢١- الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهانى نشر الصحوة والوفاء .
٢٢- آدم عليه السلام فلسفة تقويم الإنسان وخلافته للبهى الخولى مكتبة وهبة .
٢٣- الروح لابن القيم تحقيق محمد إسكندر دار الكتاب العلمية .
٢٤- القاموس القويم للقرآن الكريم لإبراهيم أحمد عبدالفتاح – مجمع البحوث الإسلامية .
٢٥- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ط دار الفكر .
٢٦- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهانى – سلسلة الثقافة الإسلامية رقم ٢٨ إبريل ١٩٦١ م .
٢٧- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لأحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكوبة تحقيق ابن الخطيب – المكتبة المصرية .
٢٨- مدارك السالكين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لابن القيم ط دار الحديث .

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مُقَدِّمَة	١٥
?لتمهيد	١٧
?لآيا ??ل ? ?كـر ? قصـة ???	١٩
كيف كر??لله ?لإنسـا ?	٢٤
سـيا??لإنسـا ? ??لأ? ?	٢٣
مظـاهر تكـريم ?لله للإنسـا ?	٣٤
??لا : ?لإحيـــا?	٣٨
ثانيـا : خلـق ?لأ? ? ??لسـما? ?تكـريم ?لإنسـا ? بالانتفا? بما فـيهن	٤٦
ثالثـا : خلـق ??? عليه السلام ?تعظـيم ?لله ?يـا?	٦٢
??بعـا : نفـخ ?لـر??	٧٧

خامسا : ?ستخلا ??لإنسا ? ??لأ? ?	٨٣
ساسا : ?ختصا ??لإنسا ? بالعلم	١٠٠
سابعا : ?عو? ?لملائكة ? ? ?لسجو? لآ??	١٠٦
ثامنا : سنن ?لفطر? ?لمو?عة للإنسا ?	١١٢
?لخاتمة	١١٧
فهر ??لمصا?? ??لمر?جع	١١٩
فهر ??لموضوعا ?	١٢١